

obeikandi.com

عرفنھم .. علی سلم المزیکا

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية
دار دلتا للنشر



رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوي

الناشر

سليمان القلشي

مستشار النشر

أحمد سويلم

مدير النشر

محمد هشام عبيه

الطبعة الأولى
الكتاب: عرفتهم .. على سلم المزيكا
المؤلف: محمد العسيري
تصنيف الكتاب: فني / اجتماعي
تنفيذ داخلي : محمود رمضان
تصميم الغلاف : إسلام الشماع
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٦٣٦٣
الترقيم الدولي: ٥-٣٠-٦٦٠٥-٩٧٧-٩٧٨

العنوان : اشارة ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي

التليفون : 02/37483557

email : delta4books@gmail.com

محمد العسيري

عرفنهم.. على سلم المزيكا

دار دلتا للنشر والتوزيع

obeikandi.com

إهداء

لبليغ حمدي .. الدمعة اللي فرت مني.
ولغنوتي المستحيلة .. بنتي اللي لسه مكتبتهاش

obeikandi.com

نهاوند.. فيما يشبه التقاسيم

من 30 سنة جيت مصر..

كان نفسى أبقى شاعر..

وكنت عايز أشتغل صحفى..

ومن سنة لسنة كنت بحاول أكتب الشعر والصحفى واقف على دماغى..

ولما كنت بمشي في «شارع الصحافة».. ماكتتش عارف أنى ماشى بقلب شاعر..

آخر المطاف.. لا عرفت أبقى شاعر..

ولا قدرت أبقى صحفى..

رقصت على «سلم المزيكا»..

وما أكتبه في السطور القادمة ليس سيرة لهذه السنوات الثلاثين.. وإن كان فيها ما يشبه السيرة.. وليست مذكرات لنجوم الموسيقى الذين عرفتهم في تلك الفترة.. وإن كان فيها ما يشبه المذكرات.. هذه السطور هي «رقصة لرجل حاول أن يعمل في شارع الصحافة».. بقلب شاعر.. حاول أن يكتب الشعر بعقل صحفى.. وكل من عرفهم يملكون أسراراً للعالمين.. لكنه قرر أن يقف على الحروف الأولى من «المازورة» بإرادته.

هذه السطور صورة ليست مكتملة لـ 31 رجلاً وامرأة اقتربت منهم في أغنياتهم.. عاشرتهم إلا قليلاً.. أحببتهم.. وغضبت منهم.. وغضبوا منى

أيضاً.. هذه الصورة تحتاج إلى رتوش أخرى من القارئ الكريم حتى يكتمل العزف.. تركت «مسافات» منقوصة بعمد- حتى لا يحدث النشاز. فالغرض لم يكن أبداً- كشف الأسرار- بقدر ما كان «إنارة الطريق.. لدارس علم الاجتماع».. هؤلاء الذين أكتب عنهم زاعماً أنني أعرفهم.. هم صورة من مصر في السنوات الأخيرة من عمر القرن الذي مضى بكل تحولاته.. ربما يستفيد أهل العلم من مطالعتها.. فالموسيقى علم.. والغناء علم.. وحركة «السلم الموسيقى».. تسبق وتلي «السلم الاجتماعي» لأي بلد.

لقد كتب اللورد كرومر تقاريره السياسية المهمة لحكومته بعد معاشته أهل الموسيقى في بلادنا.. وخطب عبد الله النديم على أنغام فرقة عبده الحامولي.. وحملت حنجرة منيرة المهدية منشورات «السعديين» إلى السودان.. واستبق سيد درويش الجميع وهو يعلن عن ميلاد نقابة «سائقي الكارو».. وخرج المصريون في وداع «الورداني» يهتفون ويعزفون خلف بطلهم «قولوا لعين الشمس ما تحماشي» ولست مضطراً لسرد آلاف الوقائع التي تؤكد علاقة الموسيقى وأهلها بالسياسة وعلومها.. وبالاقتصاد وتداعياته.. بالحاضر.. والمستقبل.

لا أزعم ولا أدعى أكثر مما أعرف.. فقط هذه صورة منقوصة.. لأيام عشت جزءاً من تفاصيلها وقطعاً عشتم أنتم.. سادتي القراء.. باقيها.. الصورة مش ممكن تكمل إلا ببيكم.

فشلت أن أكون صحفياً.. وشاعراً.. عساني استطعت في هذه السطور أن أكون راقصاً جيداً.

محمد العسيري

علي الحجار.. ورد المحبة في السنين البور

أكثر واحد ممكن يتعبنى لو جيت أكتب عنه.. هو علي إبراهيم الحجار.. فمن أي باب بالتحديد يمكنك أن تدخل لنجم يمتلك في حنجرته نصف الغناء العربي وربما يزيد؟! عندما التقيته أول مرة في عام 1990م كان قد غنى رباعيات صلاح جاهين و«أوراد فؤاد حداد» و«تجليات سيد حجاب» والتهم «جنائين الأبنودي».. وفات علي «غيطان عبدالرحيم منصور».. وقرب يخلص علي بحيرات عصام عبدالله وجمال بخيت.. طب واحد بيغنى لكل دول.. أنت ممكن تقعد معاه إزاي وهتتكلم معاه في إيه.. واحد واخد المشايخ من أول التحريرى.. وزكريا.. وعلي محمود.. ومخلص علي سيد مكاوى.. ويلاعب كورة مع الموجى.. وفي وقت فراغه بيتسلى مع بليغ حمدى.. إيه الى ممكن حضرتك تعمله مع واحد زى ده .

«كنت قد حصلت على موعد لإجراء حوار صحفي معه في كواليس مسرحية يشاركه في بطولتها صلاح السعدنى والميعاد انضرب 3 مرات.. وقررت أن أنسى كل محبتي له.. وأروح أديله كلمتين في جنباه وأمشى.. وبمجرد أن رأيته يقول وهو يتصبب عرقاً بعد نهاية العرض «أنا آسف جداً يا أستاذ والله ما أقصد.. بس إنت لو لسه عندك رغبة نعمل الحوار.. تعالى نروح نسهر في أى حطة بعيد عن وسط البلد، وفي السيارة عرفت إنه أحسن واحد يضرب مواعيد.. دون أن يقصد.. وأن وزير الثقافة فاروق حسنى كاد أن يجن في يوم من الأيام بسببه لأنه لم يذهب لافتتاح حفل مهم.. وأن عشرات الأعمال المهمة ضاعت منه بسبب هذه الحفلة.. وأضاف ببساطة:

«أنا أبقي جايلك علشان نتقابل الساعة ٩ كل ما أتحرك ألقى واحد صاحبي أقول طيب أقعد معاه 10 دقائق تمد لساعة.. أتحرك ألقى حد صاحبي غيره أقول أشرب معاه شاي ولسه باقى على ميعادك نص ساعة فجأة ألقى الميعاد راح.. كان الحجار يعتذر لى وأنا الذى أقابله لأول مرة.. بشدة أخجلتنى.

وجلسنا نتحدث فى بهو أحد الفنادق الكبرى - لم يعتد السهر فيه ولا يعرف أحد أنه هناك - أربع ساعات حتى طلعت الشمس، والغريب أننا لم نجر أى حوار للنشر.. كان كل ما تحدث فيه لا يصلح للنشر، لكنه كان يتحدث معى بصفتى صديقاً جديداً.. ولما اكتشفنا الأمر قال لى «اكتب الى أنت عاوزه من اللى أنا قلته».. ولو عاوز تخليها صحوية يبقى نتقابل بكره وسيك من الصحافة.. وحدث.. لم أنشر شيئاً فى هذه اللحظة وأصبحنا صديقين.

«ظللت ألتقى به يومياً من الثانية بعد منتصف الليل وحتى السابعة صباحاً لمدة ٥ سنوات قبل أن أكتب له أغنية واحدة.. وكان فى كل مرة يستمع إلى قصيدة منى أو من أحد أصدقائنا كان يسألنى: «هو إحنا مش هناكل عيش؟!».. وأرد «أنا مش بتاع أغانى».

تعودنا أن نسهر فى «أوديون» ثم انتقلنا إلى «كارلتون» ثم إلى الجريون وأحياناً فى مكاتب ومنازل واستديوهات.. كنت معه فى تصوير وتسجيل «تجيش نعيش»... وحضرت كيف تم اختيار داليا البحرى، كانت موظفة استقبال فى أحد الفنادق لتشاركه بطولة كليب الأغنية.. حضرت تصوير وتسجيل «مكتوبالى وذئاب الجبل» وعشرات الأغنيات.. سجلت له عشرات غيرها من أغنيات خاصة لم تصدر بعد.. شفته وهو يعانى ويدوس على نفسه من ألم الظهر وآلام أخرى أكثر حدة وشراسة.. شفته فى أيام سودا كانت الضرائب بتطارده بحفلات لم يذهب لها.. شفته فى لحظات سعادة نادرة بميلاد إبراهيم ابنه الذى سماه على اسم والده، أو بشينة التى سماها على اسم والدته، أو فى لقاءات عابرة مع جمهور فاجأه، وهو يخرج من منزله فى صباح باكر والأطفال

ذاهبون للمدارس، وعند اكتشافهم له يغنون «صلينا الفجر فين... صلينا في الحسين».. وشفته أيضًا في أصعب لحظات حياته وهو يودع والده عم إبراهيم، وهذا هو السر الأكبر في حياة على الحجار.

أخبرني «على» أن المخرجة علوية زكى تريدني لأقوم بعملية «تصحيح لهجة» لمسلسل اسمه «رسالة قطر» تدور أحداثه في الصعيد.. وتكاسلت عن الأمر فتصور أنني «أستعلى» أو أن الشاعر الذي يسكنني يرفض ذلك.. ولأنه شخص عزيز النفس جدًا خشي أن ي صارحني بذلك.. فأوعز لأحد أصدقائي وأخبره أنه طلب مني كثيرًا أن أعرض عليه بعض ما أكتب من أغنيات لكنني لم أفعل.. وأنه ينجل أن يطلب مني مجددًا.

في اليوم التالي أخبرته أن ما أكتبه أشعر بأنه لا يليق به.. وأن الصوت الذي غنى لكل هؤلاء الأساتذة ماذا سأضيف إليه؟! فقال لي بغيظ وكان معنا الممثل محمد كامل «يا أخى أنا صعيدى أكثر منك.. والدى من بنى سويف وأمى من قنا أنا مولود في إمبابة.. حد قالك إنى ممكن أجاملك في شغلى».. وكان أن أهديته أغنيتين إحداهما من ألحان وجيه عزيز.. لكن وفاة منتج ألبومه في حادث مفاجئ حالت دون ظهور أى من الأغنيتين - حتى اليوم بالمناسبة - وبعدها بأيام قليلة طلبت منى إذاعة الشباب والرياضة برنامجا غنائيا لرمضان.. كتبته وكان به حوالى 20 غنوة.. وعرضت الأمر على «الحجار» ولم أكن أتوقع أن يوافق على العمل بالإذاعة لكنه فاجأني بأنه جاهز للتسجيل.. وانتقلت أجهزة الإذاعة لمنزل فاروق الشرنوبى حتى نستطيع اللحاق برمضان.. النكتة أنني فوجئت بذهابى للتجديد قبل إكمال كتابة الأغاني.. وذهبت إلى برانيس - حته كده جنب حلايب وشلاتين - وكنت كل ليلة أتصل بفاروق أُمليه ما كتبت ويعرض هو على الحجار ثم يقوم بتلحينه وتسجيله في اليوم الثانى.. وعقب انتهاء العمل بالإذاعي «ضى مصر» بأغنياته فاجأني الحجار بأنه يريد أن نكمل ألبومًا كاملاً بنفس فريق العمل.. وأن أماننا شهرًا واحدًا فقط حتى يصدر في العيد.. يومها كان الحجار يقيم في إحدى غرف فندق الماريوت.. وشعرت أنني

انتابتنى صدمة - أنا أكتب ألبوما كاملا لعلى الحجار؟!!

وطلبت منه أن أكتفى بأربع أغنيات وأن يستعين بعم سيد حجاب لإكمال الألبوم، فقد اعتاد الغناء له فى سنواته التى سبقت ذلك ونجحا سويا بشكل رائع واكتسب الحجار جمهورا شابا غير جمهور المثقفين بألبوم «تجيش نعيش».. والمراهنة على مؤلف جديد مثل محفوفة بالمخاطر.. لكنه بعناد صعيدى وللمرة الثانية «يا عم أنت فاكرك نفسك الصعيدى الوحيد فى البلد.. أنا صعيدى زيك.. وما يصحش حد يكمل الى بدأته.. وعم سيد نفسه لو قتلتة هيرفض.. وهكذا كتبت باقى أغنيات ألبوم «رمى رمشه».. وانتهينا من تسجيله فى استديو محمود ياسين.. ولم أتخيل أبدا أن أبدا تجربتى فى عالم الموسيقى فى ألبوم كامل لأهم مطرب عربى فى زمنى - هذه وجهة نظرى - وصدر الألبوم واحتل قمة المبيعات لثلاثة أشهر متتالية وأذيعت أغنيته الرئيسية فى كل المحطات بكثافة كبيرة.

سنوات طويلة أتعامل فيها مع هذا الرجل.. أعرف عنه كل كبيرة وصغيرة.. وشيء أساسى يحرك كل تصرفاته... احترامه لنفسه ولذاته وخجله غير المحدود.. لا يخجل الحجار من أن يحكى لك أنه بعد منع والده من دخول الإذاعة لم يكن هناك مورد رزق.. وأن السيدة الرائعة الراحلة والدته كانت تخطط هدومهم أكثر من مرة.. وأنه انتظر قميصه الوحيد المنشور على الحبل حتى ينشف ليذهب إلى مواعده الأول مع صلاح جاهين.. لا يخجل الحجار أن يصف نفسه بأنه ابن تجربة «عبدالناصر».. ولولاه ما تعلم ولا دخل مدارس.. بالمناسبة الحجار أشول.. ورسام رائع ولديه معرض فن تشكيلي مؤجل منذ سنوات.. لا يخجل الحجار من الاعتراف بأنه «ضيع سنين من عمره بلا داعى»، وأنه ارتكب ذنوبا يدعو الله أن يغفرها له.. ربما لو اطمأن إليك يحكى لك عن تجارب زواجه الخمسة، وحكاياته الصغيرة مع أولادة السبعة.. ربما يحكى لك كل شيء.. لكنه يخجل جدا من أن تفاوضه فى أجر أو أن تمدحه أو أن تجامله.

«هذا الرجل الذى تجاوز سن المعاش بعامين.. الذى يغالب آلام عموده

الفقرى ليقف بالساعتين ليغنى لك فى الأربعاء الأخير من كل شهر فى «الساقية».. والذى يجلس بالساعات فى الاستديو الخاص به فى المقطم لينهى تسجيل القرآن الكريم.. ترك السهر فى وسط البلد من 14 سنة كاملة.. هذا الرجل يمكنك أن تضبط دموعه الممتنة لك لو أخبرته أنك تحفظ أغنيات عبدالله النديم مثلاً:

«يا لولا دقة إيديكى

ما انطرق بابى

طول عمرى عارى البدن

وإنتى جلابى

طول عمرى يونسك صوتى

متونسه بحس مين

يا مصر فى غيابى»

على الحجار.. صاحبى وردة الأحباب.. هو «حس مصر لو كنتم تعلمون».. ولو ما كنتوش تعلمون برضه.. شيخى.. وعهدى.. ووردى.. ورد المحبة.. فى السنين البور.

obeikandi.com

«أنغام».. تراب صوتها زعفران

في القرى البعيدة لا يعرف الأطفال معنى لكلمة «النادي» سوى أنه المكان الذي تقام فيه مباريات الكرة.. كل القرى التي كنت أعرفها حينها ما كنش فيها غير نوادي الكورة.. وبالعافية ممكن تلاقي تراييزة «بينج يونج».. فلما تطلع واحدة تقولك إنها رايحة تستنى حبيبها في النادي.. يبقى أكيد هيبقى فيه بينك وبينها حاجز.. ولما كان الميعاد اللي كان صاحبنا مديهولها يطلع لسه ما جاش وياقيه يوم بحاله.. هتقول عليها عبيطة.. في أحسن الأحوال مطيورة.. بس الغريب أننا لا عملنا بينها وبيننا حاجز.. ولا قلنا عليها أى حاجة وحشة.. بالعكس انظر بنا.. وقعدنا نسأل عن البنت الصغيرة النحيفة التي تتحدث عن ذلك «الركن البعيد» الذي صار موطنًا لحبيبة لم تكن قد جاءت بعد.. وحينما رحلنا من قرانا إلى المدن الخشبية.. رحنا نبحث عن أبواب السينما.. وملاعب «الساحة».. و«ركن أنغام البعيد» في نادي العاصمة.. حدث ذلك حتى قبل أن تكون هناك حبيبة «نعزمها على اتنين لمون».. ورغم أننا حينها أحببنا لم نستدعها لنحب على صوتها واستبدلناها بسميرة سعيد.. ووردة ونجاة.. إلا أننا اعتبرناها واحدة «قريتنا».. ممكن نتكلم معاها «ونتونس بصوتها»..

وقتها نجح ألبوم «أنغام» بشكل غير محدود.. وصار المتحدثون في الراديو والتليفزيون يشرون بميلاد مطربة كبيرة من فصيلة أم كلثوم ونجاة وفيروز.. وصرت مرغماً أتتبعها..

وظل الأمر مجرد ارتباط نفسي حتى ورطها «عاطف الطيب» في دور فتاة الأحلام، وهو يخرج لها فيديو كليب «تحفة» لأغنية «شنطة سفر»

التي كتبها شاعرة رائعة اسمها فاطمة جعفر - لا أعرف أين ذهبت بعد هذه الأغنية؟ - وجاء بالنجم الشاب طارق لطفى ليلعب دور الحبيب الذي قرر الرحيل للغربة وترك «فتاته» فتاة أحلامنا وحيدة في شارع المطار..

كنا نعرف السفر.. ومافيش بيت صعيدى ما فيهوش واحد مسافر. نعرف يعنى إيه غربة.. لكننا قطعاً لم نكن نعرف هذه اللغة في الغناء.. كانت الكلمات جديدة ومختلفة عن أغنيات شادية ووردة.. «خليك هنا خليك وبلاش تفارق مثلاً»!!

بدأنا ننتبه.. وكان لعيوننا الحظ أن تشهد ميلاد هذه «السيمفونية» وهو تأسس لأغنية لم تكن معتادة مع والدها الموسيقار الفذ محمد على سليمان.. الطيب: «صورة الأب الذى يقدم ابنته لعالم الموسيقى» تجاوزها الجميع وهم يترنحون معها:

«خد قلبى وهات قلبك هاته

يا بو قلب.. حياتى فى دقاته

الحب ده عقد من الياسمين

وقلوب العشاق.. حياته»..

لقد تسلفت البنت «أم الضفاير» إلى مشاعرنا دون أن ندري وبنى لها بيتا فى ضلوعنا.. ولن تخرج بسهولة.. وكان أن أدمنت هذا الصوت..

فى بداية زواجى لم تكن «أم فضل» تعرف عاداتى فى السماع.. وكنت قد تعودت أن أبحث عن «الغنوة اللى بتزن فى ودنى حتى لو كنت نايم».. نغمة ما تطاردنى.. مقام موسيقى محدد يسيطر على أذنى لأيام حتى يستغرقنى تماماً.. وكثيرا ما حدث أن قمت من نومى كالمفزع أتلسل إلى حجرة المكتب.. وامرأتى تستغرب الأمر حتى تجدنى أدير الكاسيت وصوت «أنغام» يصدح..

وفى أول مقابلة لهما.. زوجتى وأنغام فى حجرتهما فى كواليس مسرحية

«رصاصة في القلب» اندهشت «أم فضل» من بشاشة أنغام وطريقتها في التعامل.. فأدركت أنها «حالة خاصة» برجل يعشق الغناء وهذه مطربة المفضلة..

هل هناك عيب في أن تكون لك مطربة مفضلة؟.. لا أحب صوت أم كلثوم.. وأعشق معظم أغنيات نجاة وفايزة ويأسرني صوت وردة.. ويأخذني عالم فيروز لمساحات غير محدودة من إنسانية أفتقدها.. وأكاد أشعر أني في حلقة زار عندما أستمع «إيما سوماك».. مطربة من عالم آخر.. صوتها آلات خشبية من صنع الطبيعة.. لكن أنغام وحدها يمكن أن تجمع كل هؤلاء في صوتها، هكذا أتعامل معها.. مع صوتها تحديداً..

لا أعرف في أي شهر من عام 2002 حدث أن كانت أنغام ضيفة على برنامج بالقناة الثانية يعده عمر طاهر الذي طلب مني أن أعلق على ألبوم «سيدى وصالك» الذي كان قد صدر منذ ثلاثة أيام في وجود أنغام.. وأثناء الحلقة حدث ذلك وفرحت أنغام بوجودي على الهاتف.. لكنها فوجئت بأنني غير سعيد بذلك التغير القسرى لطبيعة الموسيقى التي اعتدتها.. ورأيت أن بالألبوم اتجاهها لا يليق بحنجرة أنغام نحو موسيقى غربية- وهذا ليس عيباً- لغرض لا يليق بأنغام وهو البحث عن «موضة موسيقية».. وغضبت أنغام.. وقاطعتني لمدة عام ونصف العام.. كلما التقينا خاطبتني بالأستاذ محمد!! وفي حفل توقيع ألبومها التالي «عمرى معاك» عزمي محسن جابر على حفل افتتاح الألبوم وذهبت لمجاملته، وفوجئت أنغام بوجودي وبيجوارى ملحن «سيدى وصالك وعمرى معاك» شريف تاج.. فلم تستطع أن تغالب زعلها مني.. وقالت «بص.. عمرى ما هنسالك»!! وضحكت كأنها تقول لي: «اصطلحننا.. بس مش هنسى»..

سمعت من أنغام الكثير أثناء أزمتها مع والدها.. وظن الرجل أنني أجاملها وأقف في صفها ضده.. وحرصت طيلة ذلك العمر الذي استمر فيه الخلاف

على ألا أكتب حرفا عنه.. لكننى أعتقد أن أهم ما يميز أنغام هو «عنادها».. حتى مع نفسها.

فى شقة أنغام القديمة بميدان لبنان.. ستواجهك صورة عماد عبدالحليم - عمها - تشعر أنه الرجل الوحيد الذى احتواها كطفلة.. أخرج كل ما فى طفولتها من ألعاب وحين رحل رحلت معه هذه الطفلة.. من يريد أن يكشف سر علاقتها بعمها عليه أن يسمعها وهى تغنى له رائعة «على مهدى وحلمى بكر»:

«فى قلبى جرح من الدنيا وعميلها..

وأيامى الى ظلماتى وبحايلها»..

تشعر أنغام بقيمة صوتها.. لكن السوق ولسنوات لم يكن تعرف قيمتها.. قيمة أن يكون لدينا صوت «ترابه زعفران».. صوت يشعر بالوحدة..

«أنا وحدانية ما مسح دموعي

غير طرف كمى...».

لكن هذا الصوت الوحيد الذى يعرف قيمة نفسه.. عنيد.. لم تعمل مع منتج يختلف معها حول ما تقدمه.. لم تغن فى حفل لا تترتاح لمنظميته.. لا تذهب لبلد لا تشعر أنه يعرف أنها الملكة المتوجة.. هى ليست مغرورة على الإطلاق.. وإذا ما شعرت بالراحة مع محدثها يمكن أن تسرد له كل ما تخفيه من أول لقاء.. والدتها المطربة الإسكندرانية «أمل» بعازف الكمان الإسكندرانى محمد على سليمان.. ومروراً بمجتيههما للقاهرة.. فى صوت أنغام وتصرفاتها معاً غموض بحر الإسكندرية.. وحدته ونعومته وشقاوته أيضاً.. وعناده..

عاندت أنغام ظروف السوق وغنت مقيدة لأمل دنقل فى وقت غنى فيه لشعبان عبد الرحيم.. غنت لعصام عبدالله ووائل هلال وعزت الجندى.. حاولت دمج كل ما هو جديد فى الغرب مع أقرب نغمة شرقية.. ورأسها

مرفوع لا شيء يناطحه سوى تجربة فيروز.. تغنى لزكريا أحمد «القلب يعشق كل جميل».. وهى كذلك.. تغنى للموجوى وبلبل وكمال الطويل ومحمود الشريف فى الجلسات الخاصة.. وتأخذ من تجلياتهم ما ترى أنه «لا يق عليها»، لكنها لا تتوقف عن البحث عن أغنياتها الخاصة.. ولهذا يمكنها أن تحتفظ لعشر سنوات كاملة بكلمات ما.. ثم تفاجئك بطرحها فى السوق.. لم تنزعج من نجاح اللبنيات اللاتى نجحن فى «خطف السوق والموسيقى» وعمليات شد وجه مكشوفة واستمرت تغنى «ألقالك حد.. ساعدنى وأساعذك.. ما جبش سيرتى.. بعثلى نظرة.. ما بتعملش».. لكنها ودون أن تخبر أحداً لم تتوقف عن التعليم حتى امتلكت زمام نفسها.. ولجام أغانيها فصار لها لونها.. وقصتها التى لا يمكن لأحد غيرها أن يفسرها.. لسنوات طويلة تناطح أهل الخليج لهجتهم.. وإيقاعاتهم الصعبة.. حتى صار كبار نجوم الخليج يتمنون مشاركتها أغانيهم.. لم تشعر بالغيرة من ذكرى - ذلك الصوت الربانى الفذ - بل ناطحتها الغناء فى دويتو نادر.. وكذلك تفعل مع أصالة كثيرا.. تحب شيرين ومى فاروق وتحيز لكل ما هو مصرى بشرط.. أن يكون حقيقياً..

لم تعد أنغام تلك الفتاة التى تذهب لمواعيد حبيبها مبكراً فى الركن البعيد الهادئ.. صارت أمّاً لعمرى عبدالرحمن.. وناظرة لمدرسة باسمها فى الغناء العربى.. وما زلت أبحت عنها وعن صوتها «فى نصاص الليالى».. ولو مش مصدقنى أكبتلك تعهد..

obeikandi.com

وردة الجزائرية.. سكة سفر

«ع الغربية..

راح نبدي كلامنا ونقول الليلا دي

ع الغربية..

دم الغربية.. ياما شفنا كتير يا بلادي..

سكة سفر..

وليل وطريق.. ونجوم وقمر..

وجرح الريح.. لورق الشجر..

وافتكرتك يا حبيبي..

وانت جنبى يا حبيبي..

فى سكة سفر..»

هذه الكلمات التى كتبها بليغ حمدى ولحنها.. ولم تصدر فى ألبوم ولم تغنّها فى حفل عام.. لم تكتمل.. وقرر بليغ أن يضع محمد حمزة كلامًا جديدًا على اللحن لتغنيه نجاة.. وظلت الكلمات القديمة.. مع 12 لحنًا أخرى كتبها لها.. لها وحدها.. هى وردة.. المرأة الوحيدة التى ظل يحبها - رغم افتراقهما - حتى يوم وفاته.

سكة سفر.. هى رحلة وردة الجزائرية ذلك الصوت القادر..

والخنجرة التى تشبه خريطة الوطن العربى.. سكة سفر بها مئات الحوادث..
والحروب.. والرجال.. من باريس.. إلى بيروت.. إلى الجزائر.. إلى القاهرة..
سكة سفر موجعة، ومؤلمة.. وسعيدة فى أوقات قليلة ربما كانت أجملها مع
أحفادها فى منزلها بالجزائر.. أو مع «قطتها وخادمة منزلها فى شقة عبدالعزيز
آل سعود بالمنيل».

كنت قد ذهبت إليها وفى رأسي.. سؤال وحيد.. عن تلك الأغنيات المجهولة
التي كتبها ولحنها وأرسلها لها بليغ عبر وسطاء.. وظلت حبيسة لسنوات لا
تريد أن تفرج عنها. عملت نفسى ناصح.. كانت قد قررت التعاون مع شباب
جدد من الملحنين بعد تجاربها مع صلاح الشرنوبى.. وصدر لها ألبوم لحنه وليد
سعد وناصر فخرى وآخرون.. لكنه لم يحقق نجاحًا.. فسألته.. وليد سعد
فيه ريحة بليغ فقالت: «وليد ملحن شاطر جدًا.. وهتشفوف هيعمل إيه الأيام
الجاية».. فقلت وصلاح الشرنوبى أيضا من أبناء بليغ المدهشين.. فأضافت:
«صلاح مدرسة لوحده.. وكل اللى فى العالم العربى كل واحد عنده حاجة
بتاعته» بس ما فيش حد.. ومش هيكون فيه حد زى بليغ.. فقلت على الفور:
«ولماذا لا تفرجين عن الأخان التي أرسلها لك.. ولم تشأ أن تسألنى وعرفت
إزاي إنها عندي.. فقط طلبت لى الشاى وأضافت: «بص.. الأخان دى عملها
بليغ لوردة.. مش للمطربة وردة.. هوو بعتهالى مش عشان أتاخر بيها.. لو كان
عايز.. كان قالى تعالى نغنى الحاجات دي.. أو خدى اعملى اللحن ده.. وأنا
مش هتاخر ببليغ»!!

لم يكن بليغ هو الوجود الأكبر فى قصة وردة الجزائرية.. لكنه كان الطريق
الطيب.. الذى قسا عليها فى لحظة جنونية رغم أنه يدمنها.. وأوقع أولاد الحلال
بينهما فى لحظة صعبة.. فحملت حقائبها وتركت أبوظبي.. وعادت للقاهرة
تطلب الطلاق.. وفى اعتقادها أنه سيعلن زواجه فى اليوم التالى من تلك المطربة
المغربية الشابة التي تركته معها فى أبوظبي.. لكنه لم يفعل وظل يحاول العودة
لها.. فلم تذهب إليه إلا لتقف بجواره فى أيام مرضه.. ولتغنى له لحن وداعه:

«بودعك.. وبودع الدنيا معك»

وردة التي صحت عيونها طفلة على والدها المناضل الجزائري الذي يقيم في باريس ويملك محلا للموسيقى والطعام.. لم تدرك وهي طفلة «يعنى إيه غربة».. فقط كانت تفرح بأن أصدقاء والدها يحملونها لتقف على خشبة ذلك المسرح الذي لم تكن تعرف أنهم يخبئون الأسلحة أسفله إلا عندما هبط بها «الخشب».. يومها عرفت يعنى إيه سلاح.. ويعنى إيه والدها يتم تجنيده في بيروت ليحارب لصالح جيش لم يكن جيش بلاده.. لكنه هناك تعرف على والدتها وتزوجها.. وربما لم تشعر في ذلك الوقت أن الغربة والحرب شيء سيء.

بعد سنوات سافرت إلى أهل والدتها.. وعاشت هناك حتى جاء من ينصح صاحبة هذا الصوت الفنى بأن تذهب للقاهرة.. وجاءت صاحبة الصوت «الألماظ» لتؤدى دور «ألمظ» في فيلم عبده الحامولي.. ولتعرف الطريق إلى موسيقى وقلب بليغ حمدي.. لكن الرجل الذى كان ينتظرها في الجزائر - وكان من رجال السلطة - تزوجها وحبسها في منزله برغبته وموافقتها لتنجب الأطفال - عشر سنوات عاشتها وردة في منزل الجنرال.. ولم يفكر بليغ حمدي في الزواج من أخرى.. أو بالأحرى في حب أخرى.. لأنه قرر في يوم ما أن يتزوج من ابنة عبدالوهاب ومن صباح.. لكنه الحب.. والسفر.. والنصيب.

في أحد الاحتفالات لعيد الثورة في الجزائر.. قرروا أن تعود وردة للغناء تحية لجيش وثورة بلادها.. وأن يذهب بليغ إلى هناك ليلحن «الاحتفال».. وليعود بصوت وردة وقلبها. وحينما عادت للقاهرة «أم العيون السود».. غنت له أو غنى لها ومعها:

«قد العيون السود بحبك».

ولم يكن الأمر هيناً.. ولم تكن العودة هينة مع رجل مجنون بالموسيقى والسفر والفوضى.. لم ينس ميعاد زواجها كما نشرت الصحف.. هذه ليست القصة الحقيقية.. لكن الحقيقة أنه كان متردداً لآخر لحظة.. هذا ما كانت تعتقده..

ولأنهما لم ينجبا طيلة سنوات زواجهما.. ولأن أبناء كانت تسربت عن إسقاط وردة لجنين كان بليغ ينتظره منها.. ظل الرجل حتى آخر لحظة في حالة توتر.. وظلت هي على يقين أنه سيركها ويرحل في يوم ما.. لامرأة جديدة.. أو لحن جديد.

لم يكن بليغ يستطيع مقاومة وردة.. أو رفض أى طلب لها.. كان قد أعجبها لحن وضعه بليغ في فيلم قامت صباح ببطولته مع وديع الصافي.. وكانت الدراما تقتضى أن تكون الأغنية لرجل يتحدث عن حبيبته «على رمش عيونها» التى جاء حبيبها السابق ليخطفها منه قبل يوم فرحهما.. وكان من المستحيل أن تغنى وردة اللحن.. لأنه يتحدث بلسان رجل.. لكنها لا تعرف ذلك.. هى تريد اللحن ولا علاقة لها بالكلام.. ولو ضرورى يبقى الكلام يتغير.. وحدث ذلك بالفعل.. أعاد بليغ وضع كلمات جديدة وجاءوا بسمير صبرى ومخرج تليفزيونى وسجلت وردة وصورت الأغنية الجديدة التى عشقت لحنها.. نفس الأمر تكرر مع لحن آخر كان قد صنعه بليغ لسميرة سعيد وسجلته وصورته بالفعل هو لحن «بنلف».. لكن وردة قررت أن تغنيه.. وحدث وأعاد بليغ اللحن بآلات جديدة وغنته وردة وصورته كذلك.

لم يكن أحد يستطيع أن يقف أمام رغبات مطربة أعطاه الله كل هذه المواهب.. حتى الإشاعات لم تستطع هزيمتها.. قالوا إنها على علاقة خاصة بعبدالحكيم عامر.. ووصل الأمر لجمال عبدالناصر.. لكن الحقيقة عرفت وباظت خطة الانتقام منها.. كان شقيق عبدالحكيم عامر يسكن في نفس العمارة التى تسكنها.. وكان المشير يذهب لشقيقه.. لكن أحدهم سرب إلى صحفى لبنانى الأمر على أن المشير يذهب لوردة وأنه تزوجها سرًا.. ومثلما لم تستطع الإشاعات أن تغلبها.. لم تستطع امرأة قيادة أن تتسبب في ترحيلها بعد إشاعة أنها «سكرت» في حضرة مبارك في آخر حفلاتها بالقاهرة.. ولم يكن الأمر كذلك فقد كانت قد تعرضت لمرض السرطان.. وحصلت على حقنة قبل أن تصعدت المسرح لأنها لم تستطع أن تعتذر.. وردة التى غابت لأربع سنوات

لأن المرض اللعين ذهب إلى وجهها.. تحملت عذابه.. ومفارقة أحبائها ولم يكن بجوارها سوى بعض الأصدقاء وشقيقها مسعود.. وأحفادها.

كأنها تعودت المقاومة.. وتحصنت.. ولذلك انتصرت على المرض اللعين وعادت لتغنى وتمثل مع إبراهيم عبدالفتاح ورياض الهمشري وفاروق الشرنوبى وشقيقه صلاح فى «أوان الورد».. ولتذهب مجدداً إلى بيروت.. وإلى حفلات المجتمع وأفراحه.. وكأنها تطارد غربتها.. وتستعيد ما سلبه المرض منها.

فى السنوات الأخيرة.. استعادت وردة كل شىء.. كانت تتابع أصالة وفضل شاكر وشيرين وأنغام ومنير وهم يقدمون أغانيها فى شكل جديد.. فتفرح.. وتؤكد لكل من يسأها.. «هما بيغنوها أحلى منى».. من أين جاءت هذه السيدة بكل هذه القدرة على التسامح والتواضع.

فى إحدى سنوات السبعينيات.. ربما كانت 76.. لا أستطيع أن أجزم.. لكن منير والحجار وتوفيق فريد يستطيعون.. قررت وردة لأن عبدالحليم أخذ من وراء ظهرها لحنا كانت تريده من بليغ.. أن تؤسس شركة إنتاج.. طبعاً إلى أسس الشركة بليغ زوجها.. وذهبت هى بنفسها لاختيار أصوات جديدة من معهد الموسيقى وفرقة أم كلثوم لمنافسة عبدالحليم.. جاءت بالحجار وتوفيق والحلو.. وانضم لهم منير.. وجاءت لهم بأغنيات.. وحينما تصالحت مع عبدالحليم نسيت الموضوع كله.. إنها امرأة جبارة بلا شك.. تعرف ما تريد.. وتعرف أيضاً متى تستخرج قواها الكامنة.. العناد.. والغيرة.. والصبر.. وبهذا الثلاثى قاومت العمر والمرض والغربة حتى رحلت.. ليظل لها كل هذه الحداثق.. التى نمرح بين أوراق ورودها حتى نستطيع أن نتنفس!!

obeikandi.com

محسن جابر.. صانع النجوم والذكريات

طول عمرى مش بحب ألبس بدل.. وتخنقنى «الكرافتات»، لكننى مضطر أن أفعل ذلك فى المواعيد والمناسبات الرسمية.. ولو كان الأمر بيدى لأحرقت من صنع هذه «الخنّاق» بجاز وسخ.. المهم المضطر يركب الصعب ويلبس بدلة وكرافطة.

ولأننى اعتدت أن أكون حرًا وبسيطًا.. وأى هدوم تقابلنى فى سكنى ألبسها.. كان من الطبيعى أن أكون كذلك فى ذلك المساء من أحد أيام شهر يوليو عام 2005.

كان الخال تجلى كثيرًا عن علاقته بعبدالحليم حافظ، وفى كل مرة يضيف شيئًا جديدًا عن قصة بداية هذه العلاقة، وفى كل مرة يكشف الأبنودى كيف أن العندليب تواطأ مع بليغ حمدى ضده حتى يستطيع خطفه من مطربه المفضل محمد رشدي، وفى كل مرة يحكى فيها القصة، وتتغير فيها الحكاية يظل رجل ضخم اسمه مصطفى العريف حاضرًا وموجودًا بقوة.

يقول الأبنودى إنه وبعد نجاح «تحت الشجر»، كان يسجل مجموعة جديدة من الأغنيات فى الاستديو مع بليغ حمدى، ودخل مجموعة من الرجال الأشداء، اقتادوه تحت سمع وبصر بليغ حمدى الذى كان يضحك بشدة، حتى ظن أنه «فرحان فى أنه هيشخس المعتقل»، وظن الأبنودى أنهم مباحث، بسبب تجهم «العريف» وعدم كشفه له عن وجهته، ولا «رايحين بيه فىن ولا عمل إيه».

ولما استقروا به فى شقة عبدالحليم، وخرج العندليب ليجد نفسه أمام

الأبنودي، انفجر الأخير الذى راح يجرى وراء العريف يريد الانتقام منه.

طيب مين مصطفى العريف ده، ولو عرفت أنه بيدور عليك، وكل اللى يقابلك يقولك «مصطفى العريف قالب الدنيا عليك»، أنا حصل معايا ده.

كنت قد دخلت فى خناقة صحفية مع عمرو دياب، ووصل الأمر إلى صدور حكم بحبسى ستة أشهر، وفى الدرجة التالية من التقاضى تنازل عمرو عن القضية قبل أن يذهب إلى «خبير الأصوات»! وظننت أن العريف هذا رجل من رجال عمرو، خاصة أن كل الذين سألونى عن علاقتى بالرجل وسر بحثى عنه، لهم علاقة ما بالشركة التى تنتج أعمال «الهضبة»، المهم، خدت توبى فى سنانى وقلت أروح له أنا، ووقوع البلا أحسن من انتظاره.

وحينما قابلته ضحك، وعرفت أن هذا الرجل الضخم لا ضخم ولا حاجة، وأن الجريمة الوحيدة اللى عملها فى حياته هى خطف الأبنودى لصالح عبدالحليم وبترتيب مع بليغ حمدي، وأنه قريب لكمال الطويل، ويعمل فى شركة محسن جابر وأنه لا يعرفنى من الأصل وإن كان سمع إنى صعيدى ورأسى ناشفة، وأن من يريدنى هو محسن، وما جاش فى باله إنى «حاجة نحيلة ورفيعة كده»!!

فى ذلك اليوم من سنة 97، عرفت محسن جابر، رجل مبتسم، ذكي، يملك صندوقاً للذكريات لا حدود له، كان الرجل وقتها هو منتج عمرو دياب، واختلفا، لكنه كان يملك خطوط إنتاج لعشرات غيره من المصريين والعرب.. وردة، هشام عباس، مياده الخناوي، لطيفة، سميرة سعيد، فى الوقت نفسه هو يعمل فى «الإعلام».. كان يصدر مجلة مزىكا بالتعاون مع عمرو الليثي، وحصل على ترخيص أول قناة مصرية متخصصة فى «الموسيقى»، وحصل على ترخيص إصدار صحيفة يومية باسم «العربية»، وظننت أن الرجل يريدنى فى أى أمر يخص الجريدة أو المجلة.. لكنه فاجأنى:

«أتابع ما تكتبه منذ فترة، وكلما سألت عنك، عرفت أنك رجل دوغري، ولما

هاجمت أكثر من ألبوم لنا.. كنت فاكراً أنك مزقوق علينا من حد، فلما تأكدت أنك رجل يكتب ما يريد، وأن ما تكتبه حقيقي في غالب الأحيان، قررت أن إحننا نبقي صحاب!! فقلت له بهدوء: «وما لقيتش غير مصطفى العريف تكلفه يدور علينا»!

اقتربت كثيراً من الرجل رقم واحد في صناعة الكاسيت في البلاد، وكنت في كل مرة أشاهده فيها يحكى له قصته مع أحد عمالقة الموسيقى، بدون قصد كان يحدث ذلك، ولأننى أدركت ما يجلس عليه من كنوز أسرار، كنت أسأله كثيراً، وكان يحكى بمودة بمجرد أن يتأكد أننى لا أفعل ذلك من أجل النشر.

كان رحيل عمرو دياب عن شركة جابر حدثاً إعلامياً كبيراً وضخماً، المفروض أنه يزعل، وأنه يطلع القطط الفطسانة في مطربه الذى تركه وذهب للشركة الخليجية إياها، لكنه لم يفعل «عمرو أخويا الصغير، الشغل رزق، هو عايز يشتغل في حته تانية مافيش مشاكل، طالما ماضر نيش في حاجة أنا أتمنى له الخير».

بهذه الأريحية يتحدث دومًا عن منافسيه، لم يعد له منافس الآن في السوق، أو عن مطربين وقف بجوارهم وتركوه للحصول على أموال أكثر من شركة، قرر احتكار السوق كله، بالمناسبة استطاع هو في وقت ما أن يشتري من تلك الشركة نصيب عدد من الشركاء الكبار، واستحوذ كل إنتاج صوت الفن التى كان يملكها عبدالحليم وعبد الوهاب.

سألته مرة، كيف كنت تستطيع السيطرة على بليغ حمدي؟!

فضحك «ومين قالك إنه كان فيه حد يقدر يسيطر عليه؟! أبدا أنا كنت في كل مرة أعمل حسابي، أبقي حاجز الاستديو في اليونان، وبليغ هيجى من باريس، وميادة من سوريا، كنت أخلى محمد سلطان جاهز أو عمار الشريعي، بألحان كل منهما، يعنى أحجز الاستديو للتلاتة، بليغ جه في ميعاده وسجل والشغل عاجبه وخلص تمام، نكمل مع عمار وسلطان، ماجاش وضرب

الميعاد، أخش أسجل شغل الاتنين التانيين، وكده».

ذكاء محسن جابر في التعامل مع الناس هو سر نجاح «مزيكا وعالم الفن»، رجل بسيط لكنه ذكي، جاء مجرد شاب من طنطا، يحب التجارة، جاب القصة من أولها، يعرف سر مهنته من أول «الكروتونة اللى بيعبوا فيها الشرايط، لحد كل كلمة تايهة في قانون الملكية الفكرية».

اشتكى عدد من رجال الأعمال الكبار منهم أحمد بهجت في بداية ظهور القنوات الخاصة، وأعلن بعضهم في الكواليس أنهم اشتروا هذه القنوات عافية، إرضاء لصفوت الشريف، ولما رحل وجاء البلتاجى لم يستطع مقاومتهم فتخلصوا منه، يومها سألت محسن جابر، لكنه كالعادة لا يكشف لك من الأسرار إلا ما يريد، وبعيداً عن أسرار تلك المرحلة توقفت أمام جملة «هما الكسبانين»، يومها قال لى الرجل «الشاشة هتاكل كل حاجة، والاتصالات هى المستقبل، بكره هتشوف الأغانى على موبايلك، وفي عربيتك» لم يكن هذا قد حدث - لكنه حدث الآن، ولهذا أعتقد أن جابر كان ذكيا عندما اخترق مجال «خدمة الاتصالات»، مثلما كان ذكيا عندما «لف العالم» ليحصل على حقوقه من «الرنج تون»، هو الوحيد في مصر الذى استطاع أن يحصل على بعض حقوق مبدعيه من النشر الإلكتروني ولا يزال يجاهد.

سر آخر يجب أن تعرفه عن جابر، هو يعرف «الوقت المناسب جيداً»، لقد كسب محسن من البومات «فاطمة عيد» ولم يكن أحد يتخيل أن مطربة شعبية ممكن تكسر الدنيا وتوقف السوق على رجل «أنت عارف مقر الشركة القديم في التوفيقية، كانت الطواير بتاعة متعهدى الشرايط بتوصل لحد ميدان رمسيس، قعدنا يومين مش عارفين نلاحم طلبات المحلات، وصار منير الوسىمى وجمال سلامة لا يتوقفان عن العمل بعد (هشكيك للقاضي.. ولا تجيبلى شيكلاتة) الناس كانت في حاجة لهذا النوع وقتها».

محسن جابر الذى استطاع السيطرة على فائزة أحمد لسنوات، وظل ينتج

لوردة الجزائرية لسنوات، وعمرو دياب لسنوات، نجح بنفس الطريقة في تقديم «نادية مصطفي»، ونجحت ألبوماتها معه، لكنه في يوم من الأيام لم تستطيع إقناعها بغناء «سيبولى قلبى وارحلو».. وأدرك أنها تملك الصوت الذى يؤدى ذلك اللحن العبقري الذى وصفه عمار الشريعى.. لكنها «مش حباه».. وبنفس الطريقة تعامل هو مع كل ما يفعله «لازم تحب الحاجة الى بتعملها».

أغلق مجلة مزيكا، لأنه لا يحب الخسارة، وجريدة أخرى طبع منها عددًا تجريبيًا مع عمرو الحياط، وقناة «زوم»، في الوقت الذى يجرى فيه الكثيرون على شراء القنوات، هو يعرف الوقت المناسب، صناعة الموسيقى تمر بمرحلة رقمية جديدة من وجهة نظره»، ولذلك اكتفى بقناة مزيكا.

سر آخر يجعل الرجل واحدًا من أهم صناع النجوم والذكريات في بلادنا، هو «العناد»، محسن عنيذ جدًا، وكتوم جدًا، عرف منذ وقت مبكر عندما كان مع فائزة أحمد في لندن أهمية أن تجرى كشفًا طبيًا كاملاً كل فترة، فذهب وفعلها، واكتشف الرجل في الوقت المناسب إصابته، وظل يقاومها دون أن يعلم أحد لسنوات، تراه يعمل، ويضحك ويجرى الصفقات، يتعامل مع ملوك ورؤساء وعازفين، ولا أحد يعرف أنه يقاوم «تعبًا ما»، حتى شفاه الله.

حدثته آخر مرة منذ شهور لنجلس ونسجل بعضًا من ذكرياته عن شخص ما، نجم ما، فوعدنى أنه بعد عودته من العمرة، هنتعد، منذ سنوات، والرجل الذى جاء من طنطا يذهب إلى بيت الله الحرام في نفس الموعد.

لا يؤخر هو موعدًا حدده لنفسه أبدًا، ولا يتوقف أبدًا أمام ذكرياته مع رجال السلطة والمال، والفن، فقط يفكر في «التراك الجديد» الذى سوف يعيش عليه، هو الآن يجهز ابنه محمد، لا ليغنى أو ليخرج الفيديو كليب ولكن ليكمل قصة، قصة أحد أهم صناع الموسيقى في مصر، قصة أتمنى أن أكتب كل تفاصيلها، حتى لو تعرضت للخطف على يد رجل ضخم مثل الراحل مصطفى العريف.

obeikandi.com

«الأبنودي».. يونس في بلاد الشوق

طول عمرى مش بحب ألبس بدل.. وتخنقنى «الكرافتات»، لكننى مضطر أفعل ذلك فى المواعيد والمناسبات الرسمية.. ولو كان الأمر بيدى لأحرقت من صنع هذه «الخنّاقة» بجاز وسخ.. المهم المضطر يركب الصعب ويلبس بدلة وكرافتة. ولأننى اعتدت أن أكون حرًا وبسيطًا.. وأى هدوم تقابلنى فى سكتى ألبسها.. كان من الطبيعى أن أكون كذلك فى ذلك المساء من أحد أيام شهر يوليو عام 2005. كنت قد دخلت إلى مكتب الصديق أحمد طه - المخرج المسرحى ومدير المكتب الفنى للوزير أنس الفقى حينها.. فى الدور التاسع بمبنى ماسبيرو العريق.

كان أحمد طه قد اتصل بى وأنا فى الطريق للمبنى.. واستعجلنى لأنه يريدنى فى أمر مهم.. وبمجرد أن دخلت عليه فاجأنى: عايزينك تنزل الدور الأول.. د. عمرو عبدالسميع مستنيك.. فيه حلقة مهمة عن صناعة الأغنية الوطنية ومطلوب إنك تشارك.. الرجل يريدك.. فاعتذرت أنى «مش لابس كويس».. وكان الرد فى ثوانٍ من الفنان محمود فرماوى.. الذى منحنى «جاكت» رائعًا وشيكًا مثله - محمود من أمهر مهندسى الديكور فى مصر - ولم تعد لى حجة.. ونزلت من التاسع للدور الأرضي فورًا لأجد عمنا عمرو عبدالسميع مستننى فى الطريقة.. وبمجرد دخولى الاستديو فوجئت بوجوده.. كان يجلس على المنصة المقابلة لى.. وبحواره صلاح عيسى وإيوان البحر درويش.. فيما أجلس فى الصالة أمام المشاركين من الجمهور ومعى الشاعر الزميل إبراهيم داوود.. والراحل عبدالله كمال.. وأدركت لحظتها أن عمرو عبدالسميع وضعنا فى

مواجهة مع الخال عبدالرحمن الأبنودى ومن معه.. «إحنا صوت الناس.. وهم صناع الأغنية الوطنية».. هكذا يقول شكل المسرح.. المهم أننى كنت على خلاف مع الخال.. لم أحدثه طيلة 3 سنوات قبل هذه الليلة.. ولم يكن الزعل من طرفه.. بل من طرفى.. والأمر لا يخفى هو مجرد موضوع صحفى عن حق أولاد جابر أبو حسين فى عوائد مطبوعات وألبومات السيرة الهلالية التى أملاها والدهم - بلدياتى - للخال.. والذى قال عنه فى مقدمة أحد خطابه لأحدهم: إذا كان صلاح عبدالصبور بالنسبة للشعر «حمام سباحة».. فجابر أبو حسين هو نهر النيل.. فكيف لا يحصل هذا النهر وأسرته على ملهم.. وهم كانوا يتعشمون - مثلى - فى تدخله لدى أخبار اليوم وأحد الناشرين وشركة الكاسيت ليحصلوا على ما يعتبرونه حقهم!! ولأنه انشغل عن ذلك قاطعته.

المهم.. كنت مستفزاً بلا حدود فى تلك الحلقة.. وكان الخال كعادته رائعا لأبعد الحدود.. وبعد الحلقة ذهبت لأسلم على إيمان البحر.. وبمجرد أن انتهيت نحت وجهى فى طريقى للانصراف فإذا به «يندهنى» - «يعنى كمان مش عايز تسلم على خالك.. إيه الرباية دي».. وقطعاً لم أستطع أن أبتعد.. وهو يفتح لى ذراعيه ويحتضننى.. ويسألنى عن أسرته وأبنى وأحوالهم وأحوالى.. ثم يضيف: «كلمنى.. واسأل عليا.. عيب كده»..

كنت قد عرفت الخال قبل هذه الواقعة بحوالى عشرين سنة.. وعرفته بعدها سنوات حتى قبل رحيله بيومين.. وما زلت حتى هذه اللحظة أكتشف كل يوم شيئاً جديداً له أو عنه.. وكل ما أعرفه يصب فى خانة أنه أحد كبار شعراء العربية.. ما أنجزه لا يقل عما أنجزه هوميروس.. هذا عن مجال التراث الشعبى.. وأيامه وسنواته التى لا حدود لها وقد قضى معظمه فى جمعه ومعرفته واختزاله وإعادة إنتاجه فى أغنيات وقصائد ومقالات وحواديت مبهجة ومدهشة.. لكننى من تلك الزاوية البسيطة.. من ذلك الباب الذى فتحه لى عقب حلقة عمرو عبدالسميع أنظر إليه الآن.. باب التسامح.. والتعفف.. والاستغناء.

فى بداية حياته لم يكره عيشته مثل معظم الناس.. ورضى أن يكون راعياً

للغنم.. زاده بصله وحتة جبنة قديمة ورغيف ناشف.. عاش طفولته طويلاً وعرضاً وأحب الصحراء القاسية.. لم يترك فيها نبتة ضالة لم يختبرها.. لم يترك لها بجبروتها أن تهزمه.. لكنه سامح قسوتها وأحبها فأحبته.. وعندما كبر.. استغنى عن «الميري».. ومن كان يملك أو يقدر على ما فعل.. وكيف له وهو ابن العشرين أن يخالف عقيدة عشيرته ويترك «الميري» بمزاجه.. لمجرد أن الأحكام الشرعية التي يسجلها لا تعجبه.. ترك المرتب والوظيفة - التي عليها القيمة - والستر.. وجاء للقاهرة - عريان بطوله - ينام في محطة رمسيس، لأنه لا يملك أجر حجرة مزدوجة في لوكاندة رخيصة.. راح - وهو حر - يبحث عن الشعر الذي خطفته ندهاته مع رفيقه أمل دنقل ويحيى الطاهر.. والأخير اختاره بإرادته صديقاً.. وتحمل مطاردات الشرطة التي تسعى خلفه لاعتقاله.

دخل المعتقل هو الآخر على ذمة قضية التنظيم الشيوعي الصيني.. لكنه لم يكره عبدالناصر أبداً.. وكتب له ولنظامه عشرات الأغنيات والقصائد - طب جاب القدرة دى على التسامح منين؟! -

ترك عبدالحليم حافظ أهم وأشهر مغن في زمانه.. وذهب للجبهة.. لجنابن السويس بإرادته.. يبحث عن الغناء الحقيقي هناك.. ترك عبدالحليم حافظ وراح يكتب ويغنى مع محمد حمام المطرب المجهول والخارج لتوه من معتقل دام خمس سنوات كاملة.

رفض أن تغنى نجاة «عيون القلب» لثلاث سنوات، ولم يقبل أن يغير لها «كلمة».. كانت ترى أنها «مش حلوة في لسانها» - كانت تريد تغيير شطرة «وهو عيونه تشبع» نوم!!

ترك بليغ حمدي - الأسطى والمعلم الكبير - الذى لا يملك مؤلف أغاني خصامه، وهو يعرف أنه الأغزر إنتاجاً والأقدر على تلحين كلماته.. لأنه لا يريد أن يكتب على الألحان التي يصنعها بليغ أولاً.. فجاء بليغ بمحمد حمزة ونفذ قسمه وجعله أهم مؤلف أغنيات في مصر - وطز في الأبنودى وحجاب ونجيب - وراح يعمل مع الموجى والطويل وحسن نشأت وإبراهيم رجب

وعشرات من الشباب..

رفض أن يكون وزيراً للثقافة في عهد السادات.. وراح يندد به وبموقفه من كامب ديفيد حتى مات.. وهناك عشرات من المثقفين كانوا يتمنون نظرة رضا منه.. - من السادات طبعاً - ومثلما رفض الوزارة رفض أن يعيش في القاهرة.. وقرر أن يذهب لقرية بعيدة في الإسماعيلية.. لم يملك مالا ليشتري بها الأرض التي كانت عبارة عن «مقلب زباله وبركة ملح».. لكنه دفع ثمنها بالتقسيط، ولم يخبر أحدا «جبت نهال.. وقلت أفرجها على الأرض.. أول ما شافتها.. قالتلى إيه الصحرا اللى عايز تشتريها دي.. كنت اشتريتها خلاص وما جبتلهاش سيرة.. لأننى كنت عارف إنها هترفض.. وقعدنا شهر نجيب لها تري وسباخ.. لحد ما بقيت أرض.. وكل ما يجينى قرشين أبنى حاجة.. وكل ما لاقى «شتلة» شجرة معينة أجيبها.. لحد ما بقت زى ما أنت شايف».. هكذا كان يحكى لى قصة بناء منزله في الإسماعيلية. وإيرادته ودون أن يخبر أحداً سوى أهل منزله ومساعدته محمد.. اختار أن يبنى مقبرته في جبل مريم.. - على عكس كل أهل الصعيد الذين يحبون دفنهم في مقابر بلادهم - ثم قرر أن يختار من يودعونه ويشاركون في جنازته وأسماهم لزوجته وأوصى بمن يقوم بغسله.

هكذا عاش «الخال».. ومات.. حرّاً.. سامح كل من أساءوا إليه.. ولم يقبل بحياة غير التي يريدّها.. حتى طعامه ورغم معرفته بأنه يسبب له متاعب صحية كان يصبر على أن تطبخه له زوجته حتى «لو مات فيها.. هيه مودة ولا أكثر».. ولآخر نفس ظل يكتب.. ويسجل ملاحظاته.. ويقرأ.. ويختار من يزورونه ليقضى معهم ساعاته التي يقتنصها من آلام المرض.. حتى موعد وفاته.. قالها لى وهو يضحك قبل وفاته بشهور «ما تقلقيش لسه.. لما هاجى أموت هقولكم».. وضحك.. وأكمل ما كان يريد أن يبلغنى به.. طب مين يقدر يعمل كده غير «يونس.. ولد الهلالية». اللى رفض محبة عزيزة بنت السلطان، لأنها قررت حبسه من أجلها.. أيوه يا خال صدقت «وده حب إيه ده اللى من غير أى حرية»؟!.

محمد رحيم.. قصة اللبناني صياد الماس

من نحو عشر سنين تقريباً دخلت مبنى ماسيرو ولقيت الدنيا مقلوبة.. والزميل ياسر رزق يبحث عني، وأول ما شافني سألتني، إيه حكاية صاحبك الملحن اللي اتخطف في بيروت، ومن غير ما أفكر هو مين عرفت إنه محمد رحيم. كانت الأنباء المتواترة تؤكد أن «قبضاي كبير» احتجزه في مكان مجهول، وأنه لم يعد في الموعد المحدد لطائرته، وأن المصادر تتحدث عن رجل «مفتري» يعشق المطربة «إليسا» يظن أن رحيم على علاقة خاصة بها، وأن رجاله اختطفوا رحيم لإجباره على تطليقها.

رحيم رجل متزوج، ويعيش حياة مستقرة مع زوجته وابنتيه، ومجرد نشر أخبار من هذا النوع سوف تقلب المنزل وحياته كلها رأساً على عقب، والحل الوحيد هو نشر الحقيقة كاملة، ولأنني أعرفه وأعرف أن علاقته بإليسا لا تزيد على علاقة مطربة بملحن ناجح، كنت على يقين أن الأمر فيه حاجة مش حلوة. اتصلت برحيم، والمفاجأة أنه رد، وأخبرني أن الأمر سينتهي خلال ساعات، وأنه عائد إلى القاهرة، وأن الشائعات إياها ليست صحيحة على الإطلاق، وأنه في مشكلة مع أحدهم، لكن شيئاً بخصوص إليسا ليس صحيحاً، ورجاني بالتصرف، وهو ما حدث.

بعدها بسنوات، وقبل وفاة الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي بعام تقريبا، كنت في منزله على عزومة غداء، وشكى لى من رحيم، أنه مثل سمك «القراميط» مزفلط ومش ممكن تمسكه، ولا حد يقدر يملكه، ولما سألته زوجته الإعلامية نهال كمال عن معنى كلمة «لبناني» التي يردها دوما بعد كل شكوى من رحيم، ضحك، وأضاف «أصله مولود في لبنان، ماحدث يقدر يلومه يا جماعة».

كان الخال ينتظر رحيم ليذهب إليه في بيته في الإسماعيلية، حيث يقيم، للانتهاء من ألحان مسلسل «الوسواس» الذي تعاقد الخال على كتابة أغنياته، واشترط على المنتج أن يلحنها رحيم، ويغنيها على الحجار، لكن رحيم كعاداته - خلف المواعيد - ووضع الخال في زنقة لم ينقذه منها سوى الموسيقار أمير عبدالمجيد، بعدها فوجئت بالخال يعمل مع رحيم على مجموعة أغنيات، وكنت ظننت أنه سيقاطعه، فأخبرني أنه يحبه ويعتبره أمهر الموسيقيين الموجودين وأكثرهم فهماً، وأنه حافظ مزيكا كويس، لكنه يدرك أن سر نجاح رحيم مع مطرب ومطربات بيروت، وأن هذا يجعله دائما «عين في الجنة وعين في النار»، يريد أن يلحن كل ما يعرض عليه في القاهرة لكنه لا يستغنى أبداً عن نجاح بيروت وفلوس الإنتاج بتاعتها.

رحيم الذي أعرفه، لا أستطيع أن أغضب عليه ولا أزعل منه، موهبته غير المحدودة تجعلنا - كل من يعرفه - نغفر له مواعيده المقلوبة، والمضروبة معاً.

الموعد الوحيد الذي يحافظ عليه رحيم، هو موعد صلاة الفجر ودعوة الأصدقاء إليها، بعد ذلك لا شيء يشغله سوى أن يختفى ثم يعود ليظهر هو الوحيد في مصر الذي ظل لسنوات يجمع بين عمرو دياب ومحمد منير، هو يريد

«القمة»، ملحنًا وموزعًا ومطربًا، وشاعرًا لو استطاع، ولم لا، فهو ابن شاعرة معروفة - رحمها الله - كان لها الفضل الأكبر في أن يكون هذا الموهوب موجودًا.

منذ أيام سافر رحيم إلى باريس ليتم تكريمه من قبل جمعية «الساسيم»، المنظمة الأم التي تتولى تحصيل حقوق الإبداع للمؤلفين في العالم، واختياره مندوبًا عن الشرق الأوسط، وهي المرة الثانية في تاريخ الملحنين المصريين بعد عبدالوهاب، ذهب رحيم ونال وسام التكريم وسط مجموعة من أغزر ملحنى العالم، وعاد ليكمل تسليم أغنيات مسلسل «المغنى» لمحمد منير!!

هو الأغزر إنتاجًا بعد أبناء جيله رغم أنه لم يكمل الأربعين بعد، وهو الأشهر والأعلى سعرًا، نعم، فهل ذهب رحيم إلى هذه القمة بالصدفة؟! أبدًا.

كان رحيم حينما شاهدته لأول مرة في شارع جامعة الدول العربية بصحبة الشاعر الراحل عبدالعزيز عمار - بلدياته - مجرد طالب في كلية التربية الموسيقية، نجحت أولى أغنياته التي كتبها زميله وبلدياتى - محمد رفاعي - على حنجرة عمرو دياب، لكنه كان رغم تلك الأغنية المحظوظة لم يشعر بأنه ملك الدنيا وما فيها، كان يبحث عن «سكة»، كنت تشعر أنه بعيون زائغة يبحث عن شيء مش موجود.

بعدها بشهور غنت له «نوال الزغبى» من كلمات صديقى خالد منير «الليالي»، وبعدها توالى طواير المشاهير.. سنة ورا سنة.. نبيل شعیل، حسين الجسمي، نانسى عجرم، حمادة هلال، محمد محيي.. ورحيم لا يهدأ، فجأة يتحدث الشارع عن ممثلة مغمورة لا علاقة لها بالغناء راكبة عجلة وبتغنى «طب ليه بيدارى كده».. وبقت ليلة.. لكن أحدًا لم ينتبه لما كان يفعله رحيم، كان يريد أن يقول للجميع، إنه مستعد يلحن الجورنال زى بليغ، ويمكن يخلى «الحجر يغنى»، هو

تلميذ محمد فوزى في البساطة، وتلميذ بليغ في «الحارة المصرية».

تربى رحيم، مثل كل أبناء المدن، هو من كفر الشيخ لكنه لم يكن فلاحًا، والدته الراحلة الشاعرة إكرام العاصى لم تكتف بأن جاءت له بمن يعلمه الموسيقى حينما لمحت موهبته ولا بمن يدرس له القرآن.. ولا بشراء الآلات التي صار يتقن العزف على أكثر من واحدة منها.. لكنها غادرت كفر الشيخ بحالها لتعيش في القاهرة بجواره، وهو يدرس في «التربية الموسيقية»، لكن رحيم الذي يختفى كثيرًا لم يترك موالد كفر الشيخ تذهب بعيدا عنه واختزنها في عقله الصغير، وحين أراد أن يستخدمها في «حين ميسرة» جاء بصوت ممدوح بيرم، وكذلك فعل مع أحمد سعد في «مملكة الجبل» ثم مع محمد منير في «يونس»، لكنه يحتاج إلى براح أكبر، فقرر أن يقدم تجربة صوفية خالصة مع مشارى راشد، ومن خلال «ألبوم ديني» يعده منذ سنوات، ولأنه يعمل بنفس الطريقة التي بدأ بها، هو لا يخطط لشىء بعينه، فقط يحدد هدفه ويجرى خلفه، قرر أن يكون رجل الدراما، إلى جوار عمار الشريعى، وفي حياته، وهكذا فعل، قرر أن يكتب الموسيقى للسينما وفعلها، قرر أن يغني وفعل، قرر أن يوزع موسيقى بنفسه وفعل، ثم قرر أن يعود ملحنًا فقط ويسند أعماله للآخرين لتوزيعها، المهم أنه يعمل، في منزله بحدائق الأهرام، أو في مكتبه بالمريوطية، أو في شقة أحد أصدقائه، وفيها الجميع في انتظاره بأحد الاستديوهات، ستجده وقد حمل حقائبه وطار إلى بيروت، متى فعل ذلك، مش مهم، المهم أنه سيخبرك «يا حبيبي، يومين أخلص فيهم شغل مع أختك نانسي، وأرجع، وأول ما أرجع هكلمك، ونكمل الشغل بتاعنا».

أول ما لحن رحيم من كلماتى كان أغنية اسمها «شجر الترمس»، وكان

من المفترض أن يغنيها منير، لكن مطرباً من الصعيد أيضاً اسمه «على حسين اختارها لألبومه»، وبعدها عملنا معاً في «والله لك شوق» التي غناها رحيم نفسه، وبنفس الحماس الذي يقابلني به، أو في أي مكالمة هاتفية.. «بكرة نتكلم ونقعد نخلص غنوة فلان»، يتحدث مع المنتجين والمطربين الذين ينتظرونه، وقطعاً يغضبون ويقررون عدم التعاون معه مجدداً، لكنهم وبمجرد ضغطة على «الريموت»، تخطفهم جملة مدهشة في لحن أصالة الجديد «منازل» أو «٦٠ دقيقة حياة»، أو «تتر المغني»، أو مع بوسى في «الخانكة»، أو تداهمهم شيرين أو تامر حسنى أو سميرة سعيد بموسيقى تشبه «الألماس»، فإذا بهم يتسمون، ماحدث غيره يعمل كده.

هذا وجهه، وجه من وجوه متعددة لموسيقى مصرى تعلم الصيد مبكراً في بحيرات كفر الشيخ، ربما في تلك المنطقة التي يلتقى فيها «البحر الأحمر الهائج.. بالم توسط الغامض»، وما بين جموح «الجيتار.. وغموض البيانو» يقف هو ليلوح لمحبيه، استنوني «مشوار لحد بيروت وراجع».

obeikandi.com

صبري فواز.. سر النجاح المتأخر لـ «ملح البراري»

أستغرب جدا كلما قرأت لأحدهم يمدح قدرات صبرى فواز فى التمثيل .. حدث هذا فى العام الماضى عندما قدم دوره فى «بين السرايات».

وفى العام الذى سبقه وهو يؤدى دور الشيخ البصباح الذى تغريه قدرات عادة عبدالرازق فى «كلمنى شكرا» .. وعند مشاركته فى «دكان شحاتة» .. ويحدث يوميا منذ بدأت إذاعة حلقات «أفراح القبة».

أستغرب وأندesh كلما أشار ناقد فنى أو زميل إعلامى لمؤهلات ممثل فى منتصف الخمسين من عمره، وكأنه وجه جديد ما حدث خد باله من إمكاناته طيلة عشر سنوات تراكمت فيها الأدوار المملة من مجرد فلاح صعيدى فى «مسألة مبدأ» أو ضابط شرطة فى فيلم كوميدى مع صلاح عبدالله وياسمين عبدالعزيز .. وكلما ضببطت نفسى فى هذه الحالة أسأله «هوه أنا ليه مش فرحان» .. إيه مش ده صاحبك بتاع الأيام الصعبة؟

يمكن عشان هوه صاحبى .. ويمكن عشان كنت مستنى أن الناس تحبه وتشوف إمكاناته دى من بدرى حاسس أن المسألة على بعضها جاءت متأخرة .. وأن السنين اللى ضاعت من عمر «أبومروان» ماكنش لازم تضيع .. وأن البلد دى ماكنش لازم تعمل زى القطط اللى بتاكل عيالها .. يمكن .. أو يمكن لسه شايف أن نجاح صبرى المستحق لم يأت بعد.

آخر مرة شففته فيها يمكن كان من خمس سنين .. اتقابلنا صدفة قدام مرور

فصل.. مش عارف إذا كان صبرى بعد ما بقى نجم ساب شقته الى فى الهرم واشترى فيلا بجينة ولا لسه.. بس أنا شخصيا أشك.. لأن الفقرى فقرى.. وصاحبى فقرى يوم ما يفكر بينى بيت هيروح بينى بيت «هالة أحمد نصار» فى كفر الشيخ.

المهم كان هو رايح يجدد رخصة عربيته.. مش مرسيدس ولا هامر.. وأنا كمان.. وعشان عملية الوساطة بتفرق معانا قوى.. هو عمل فيها «محترم» واستنى دوره عادى زى أى مواطن.. ولقينا نفسنا قاعدين على القهوة لحد ما حد ينده علينا نستلم الرخص.

كان قد مر وقت طويل لم أقابله.. لكننى أشعر أن وقتا لم يمر على الإطلاق.. قعدنا نتكلم عن صحابنا عادى.. وعن الشعر عادى.. وعن ديوان كان عايز يطبعه عند محمد هاشم بتاع ميريت عادى برضه.. وفى السياسة شويه.. وعن بلدياته وصاحبى الى بقى مرشح رئاسى حمدين صباحى!! هو صبرى فواز الى بتربطنا علاقة ممتدة من ييجى ٢٥ سنة وعيش وملح وبصل بالسمنة وبقايا العيش البلدى.

صبرى فواز لم يتغير على الإطلاق.. ربما تغيرت عيون مشاهدى التلفزيون والسينما فشافت الى ما عرفتش تشوفه قبل كده.. أما أنا وأصدقاء قلائل منهم خالد إسماعيل وأحمد قنديل ومؤمن المحمدى وأحمد عيد وعلى رجب.. زى ما إحنا لأننا طول عمرنا كنا شايفينه خرج مسرحى كبير وممثل على قده.. والشوية الى على قده دول أهم من كل الى بيمثلوا.. باستثناء أحمد زكى ومحمود حميدة ويحجى الفخرانى.. آه والله إحنا كنا شايفين كده.. هو يعنى فيه حد يعرف يمثل أجدع من صاحبنا؟

ليس غرورًا أن نمنح ذلك الفلاح كل هذه الثقة.. ولا هى عنصرية لواحد نعتبره من أقربائنا.. بالمناسبة كان شقيق صبرى - «محمد» على ما أظن - يعيش ويدرس فى القاهرة ويعمل بعد الظهر فى أحد المحلات التجارية ويعود لمسكنه

فوق سطوح إحدى العمارات بمصر الجديدة وكنا نزوره للحصول على خيرات كفر الشيخ القادمة من عند «الحاجة» التي فعلت في هذا «الصابر فواز» ما لم يفعله أحد.. ولما كنا نتسامر كنت أقول له إننا من عائلة واحدة - عائلتي اسمها فواز - وإن فرعنا الفقري فضل في الصعيد.. وفرعهم «ركب البحر وشرح».. لكنني أستعجب لماذا سكن البرارى ولم يذهب للإسكندرية؟ وكان صبرى يرد وكأنها حقيقة مؤكدة «عشان فقري».

ملح الأرض في برارى كفر الشيخ هو من منح تلك السيدة التي تشبه «فضة المعداوى».. و«فاطمة تعلبة».. كل هذه الصلابة التى انتقلت إلى صبرى، ذلك الشاب المثقف الذى ذهب إلى الإسكندرية ليدرس المسرح.. ومنها جاء للقاهرة ليكمل في نفس السكة بلا زاد ولا زوادة.

هو مثلنا ناصرى الهوى يؤمن بالفلاحين - أهله - وبالعمال، ويقرأ التولستوى وديستوفيسكى.. فمن هو المنتج أو المخرج العبيط الى يشغل واحد مثقف؟

كانت تلك الفترة التى جئنا فيها للقاهرة هى فترة ازدهار أفلام المقاولات.. أى حد معاه قرشين يعمل فيلم أو مسلسل للخليج.. ولا عزاء لأمثال صبرى سوى فى بلدياته.. إسماعيل عبدالحافظ بالتحديد وأحمد خضر.. والأخير منح صبرى دورًا صغيرًا.. لكنه لم يلفت النظر.. لكن «العين الساحرة والسحرية» عم إسماعيل أعطاه تلك الفرصة التى كان ينتظرها.. لم يمنحه الفرصة وحده لأنه بلدياته.. ولا أنه يعشق عبدالناصر مثله.. لكنه منحها للعشرات من ذلك الجيل - جيل ليالى الحلمية - واتشعلق صبرى فى مشهد يقيم منحه له الرجل مع صفية العمرى.. كان عامل دور طالب رايح يأجر السطوح بتاع عمارة الحلمية والسيدة التى تحب الزواج فى آخر عمرها ويادوب إنه يبسلم عليها تلتقى العيون والرغبة وباقى الحاجات الى أنتوا عارفينها.

قبل أن نشاهد ذلك المشهد.. كان صبرى قد حكاه لنا.. لأننا قفشناه جايب لوحه فنية مذهشة غالية جدا.. وهو زى حالاتنا مش لاقى ياكل.. وفرحان بيها

جدا وحافظ عليها قوى،، وعرفنا أنه قرر أن يهديها لصفية العمرى التى يرى أنها بالمشهد الوحيد الذى مثلته أمامه قد منحته طاقة تمثيلية لا حدود لها.. وأقل واجب أن يهديها تلك اللوحة.

أذيع المسلسل وانتبه البعض لهذا المشهد اليتيم.. وعرفوا أنهم أمام غول تمثيل جديد.. لكن أحدًا غير إسماعيل عبدالحافظ لم يمنحه الفرصة التالية..

وظلت معرفة المخرجين به عائقًا يمنعه عن الشهرة - ما حدثش بيجب ممثل عامل فيها مثقف - حتى التقى خالد يوسف.. كان قد لمع قبلها بالطبع فى بعض الأدوار التلفزيونية مع خيرى بشارة.. وإنعام محمد على، التى قدمته فى دور بليغ حمدى فى مسلسليها «أم كلثوم»، وهو الدور الذى أعاد تقديمه فى فيلم «حليم».. لكن النصيب الأكبر من الأدوار كان مع عم إسماعيل الذى آمن بموهبته: «العائلة، امرأة من زمن الحب، الأصدقاء، حدائق الشيطان، المصراوية».

وإلى جانب والدته «ملح البرارى» وعم إسماعيل كانت هناك سيدة أخرى مثقفة ومبدعة اسمها «عزة السيد» تؤمن هى الأخرى بقدرات هذا الصابر وتدفعه دفعا إلى المقدمة.. تغنى أشعاره سرا مثلنا، وتنتظر تلك الفرصة الى هيه «بنت جميلة راكبة عجلة ببدال» ويحلم هو بنفس السيدة قمرًا تسكن داره فصارت له دارا.

أم مروان الجميلة هى تلك السيدة التى منحها الله لصديقى صبرى فى زمن صعب فهونت عليه الطريق، وكانت زاده من الصبر والمحبة، خاصة فى تلك الفترة التى رحلت فيها والدته.. والتى انقطع بعدها صبرى عن زيارة كفر الشيخ.

دعوات أم صبرى.. وصبر أم مروان.. وحكمة جدنا الفلاح فى تلك البرارى البعيدة.. هى أدوات هذا الممثل الذى صار نجما الآن.. لكنه فى عيني لا يزال مجرد صديق يكتب الشعر ويغنيه على مقاهى فيصل:

عارف.. لما الضى يمد جدوره
لسابع أرض..
لما الطمى يهم بطول السما من فوق
لما الأرض السمرا تبك خضار..
ونهار وعيال رجالة
حد بيغزل على توب الزرع الأخضر
بالطوب النى بيوت.. وحكاوى..
حد بيدأ يومه بكنس الهم
ورش الميه
ورش البهجة
ورش القوت
عارف حد يبات سهران الليل
بيخمر صبح حنين.. ومرايل حلوة
وإيدين طايلين
فالعيل يقدر يكتب ع السبورة
تاريخ اليوم
عارف.. لما تجمع قصاقيص الناس
وتدبق منها نهار مطمئن.. وسنين مستوره
وعرايس قطن بتضحك
عارف..

ده شعر صبری فواز.. الی کاتبه عن أمه «هلاله أحمد نصار» متهیألی عرفتوا
لیه دلوقتی أنا مش شایف إنه نجم.. وإنه بیعلم ناس کثیر اسمهم نجوم «یعنی
إیه تمثیل».

أمير عبد المجيد.. شيخ العرب القانوني

حكى لى الموسيقار الشاب ممدوح صلاح مرة أنه كان عنده امتحان فى معهد الموسيقى العربى.. ومش معاه عود.. ومش معاه فلوس يروح يشتري عود جديد.. والامتحان الصبح.. ولأن الأمر لن يتم بدون هذه الآلة اللعينة.. أصبح الأمر همًا لا يمكن احتماله.. فقرر ممدوح - الذى معروف عنه إنه ضارب الدنيا صرمة - يخش ينام وما يرحش الامتحان.. فجأة وجد من يطرق بابه ويعطيه «عود جديد لنج» ويوصيه «خد بالك منه».. هذا الشخص هو الرجل الذى أحدثكم عنه.. الموسيقار المبدع عازف القانون الأول فى العالم العربى.. الملحن والموزع وأستاذ الارتجال فى معهد الموسيقى «أمير عبدالمجيد».

ناس كتير فى مصر ما يعرفوش أمير.. لكن لو شافوا أى حفلة لمطرب عربى كبير، سواء فى مصر أو خارجها، سيجدون رجلاً صعيدياً طويلاً جداً يشير بيده وعصا المايسترو لتتحرك الموسيقى بأمره.. وسيعرفون من ملامحه الحادة والصارمة وعصاه الشهيرة أنه «أمير».. وأنه شاب صعيدى من أسيوط.. عمره ٥٦ سنة تقريباً.. والده كان مدرساً بإحدى مراكز المكفوفين ومن تلامذته عمار الشريعى.. اتربى فى حى شعبي.. اشتغل عازف وعمره ١٨ سنة فى فرق موسيقية ضخمة ومهمة زى «الماسية».. وفرقة حمادة النادى.. اتعلم من الشيخ محمد عمران وإبراهيم الحجار وعبدالعظيم عبدالحق.. لحن ووزع لكبار مطربى العالم العربى «وردة».. نبيل شعيلى.. سميرة سعيد.. عبدالله الرويشد.. أنغام.. شيرين.. على الحجار ومحمد الحلو» وغيرهم.. فى لندن تعزف موسيقاه فى أهم الأماكن وله أكثر من أسطوانة منذ عام ٢٠٠٣..

لكنهم في مصر لا يعرفونه جيداً.. أهل الكار طبعاً عارفينه وكانوا عايزينه نقيياً لأهل المهنة، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة.. هو صاحب الأجر الأعلى في مصر، وربما في العالم العربي.. وعنده أسبابه.. هل عرفتموه الآن.. أشك.. لأننى أنا شخصياً ورغم كل هذا العمر منذ رأيتَه أول مرة.. أعتقد أننى لم أعرفه جيداً.

كنت قد انتهيت من إعداد مجموعة أغنيات لعلى الحجار.. ولحنها فاروق الشرنوبى، الذى كنت أتردد عليه كثيراً للعمل فيها.. وهناك رأيتَه لأول مرة.. وجه حاد.. لا يبتسم إلا قليلاً.. ولا يتحدث إلا مع من يعرفهم.. لم أكن أعرف أنه أصلاً من الصعيد.. وبعد أن انتهى من كتابة النوتة لأحد ألحان فاروق، وأظنه كان لأغنية «مكتوبالى».. استأذن لينصرف وكنت قد سبقته أيضاً للخروج وفوجئت به يسألنى إلى أين؟ وأجبت «فصل» - حيث كنت أسكن - وكان في طريقه لاستديو صوت الحب.. وعزمنى على التوصيلة، وفي الطريق اختلفنا حول المقارنة بين الحجار والحلو.. لكننى عرفت وفهمت أنه أقرب إلى «الحن» منه «إلى الكلمة».. وأغضبني ذلك بلا مبرر.. وفهمت إنه ميال إلى الأصوات الطرية وأن من نحسبهم في ساحة «المغنيين» لا يروقون له.. وكلما التقيته بعدها أتحاشى الحديث معه.. لكننى كلما سمعت سيرته من أحد الموسيقيين وجدت أنهم يتحدثون عن «شيخ عرب».. عيبه الوحيد أنه «معتد بنفسه» وأجره عال!

عملنا بعدها فى ألبوم لأسامة الشريف.. وكان من الطبيعى أن أحضر الاستديو الخاص بتسجيل أغنياي.. وفوجئت بأننى أمام رجل يفهم فى كل تفاصيل الصنعة.. هو ليس مجرد عازف قانون ماهر - بل قد يكون الأمهر من رأيهم - يجيد العزف على العود والبيانو وربما آلات أخرى.. وكان من الطبيعى أن أنتبه لعلاقته بالصوفيين وموسيقاهم، وكان محمد عمران بابا سحرىا لدخولى إلى عالمه.. فعمران الذى كان أحد تلامذته هو أحد أهم الأصوات التى أعشقها فى مجال الابتهاال.. والارتجال فيه.. ثم جاءت تجربة ألبوم «بقولك إيه» لأنغام،

لتضع أمير عبدالمجيد في منطقة أخرى بالنسبة لي.. كانت هي تجربتها الأولى بعيداً عن موسيقى والدها المبدع الكبير محمد علي سليمان.. وكانت أول تجربة مصرية كاملة للأمير في عالم التلحين.. سبقتها تجارب عربية أخرى أشهرها مع وردة في مجموعة أغنيات.

«بحبك قولها للعالم وما يهكمش لو لامو، طال السفر، سلم على، وبقولك إيه».. لم يكن مجرد ألبوم جديد لأنغام.. لكنها كانت التجربة الأجرأ التي دخلت بها في منطقة لم تكن مأهولة.. هي مرحلة تحول فني لا شك.. واقتربنا - فنياً - واكتشفت أن الرجل الذي يختبئ خلف «جهامته» يملك مخزوناً ساحراً من الموسيقى.. بدأت آثاره في الخروج للنور.. «ريشة ويا ريشة يكمل الجناح» من الحجار ثم «اشهدى» مع الحلو.. ثم «وحدانية» مع أنغام.. ثم تتر مسلسل «البيضاء» الذي كتب كلماته الخال عبدالرحمن الأبودي.. وعشرات من الألحان، والرجل لا يتحدث للإعلام فقط يعمل وربما لمدة ٢٤ ساعة في اليوم.

ونحن في استديو «صوت الحب».. فوجئت بطريقته في التعامل مع مهندس صوت انجليزي اسمه «جريج».. ومع عازف قانون - منافس - تركى اسمه «تاتش».. ومع ساحر في آلة الكمان اسمه محمود الجرشه.. وفي توظيفه للتراث والفولكلور في تجربة صدرت في لندن اسمها «صوت الليل» ظل يعمل عليها لمدة ٤ سنوات تقريباً.. هو رجل «مايسترو» بكل ما تعنيه الكلمة.

ومن بين المرات التي شاهدته فيها في الاستديو.. كانت شيرين عبدالوهاب قد جاءت فجرًا.. وفوجئت بها تطلب من أمير أن «تأكل» كبدة!! أعرف شيرين منذ سنوات وأعرف أنها «طفلة كبيرة».. لكنني لم أكن أعرف أن أمير يتعامل بأبوة غير عادية مع الجميع!!

هو مش مجرد مايسترو.. يقود فرقة أمام الجمهور.. أو من خلال «الكنترول روم» في الاستديو.. لكنه يمارس أبوة غير منظورة مع الجميع.

هذا الرجل الدرويش في مقره الموسيقي.. فجأة وفي نهاية ١٩٩٥ تقريباً..

أطلق لحيته.. وأقام مقراً في منزله.. وأصبح من أهم المترددين على مشايخ الصوفية.. واندھش الكثيرون وظن البعض أن الحبيب على الجفرى هو من كان صاحب الكلمة الأولى في اتجاه أمير إلى هذه المنطقة الصوفية.. لكننى أعتقد أنه ذهب إليها مبكراً.. وأنه كان في مرحلة تردد ربما وصلت به إلى الرغبة في اعتزال العمل بالموسيقى.. لكن الحبيب قال له «مش عايز الفنانين يتوبوا عن الفن.. عايزهم يتوبوا في الفن»!! في ذلك العام كان أمير في بيت الله الحرام.. ومن يومها عاد ليمارس حياته كدرويش حقيقى يؤمن بأن الفن عبادة، وأن به من الجمال ما يبعدة عن شبهات الحرام.. واستغرق في تلحين وتوزيع أغنيات لها صبغة وطنية ودينية لكنه لم يتوقف أبداً عن العزف.

«شيخ العرب» أمير عبدالمجيد يضبط دوزان «قانونه» جيداً.. وبصراحة.. وربما لهذا السبب وحده تراجع عن ترشحه لمنصب نقيب الموسيقيين لمجرد أنه رأى أن بعضهم سيدخل به إلى طريق المهاترات.. «ومن الآخر».. وده اسم أحد ألحانه للحجار.. حمل الرجل عصاه إلى «جبل المقطم» - حيث يسكن - وقرر أن يستغرق في محبة الموسيقى بحثاً عن محبة الله.. وعباده.

ذكرى محمد.. أنى الأحلام المستحيلة

لم يكن إيهاب أحمد توفيق - الدكتور إيهاب فيما بعد - من أصدقائى المقربين..
التقيته مرات قليلة جداً.. لكن والدته السيدة الفاضلة الحاجة أم إيهاب رحمة الله
عليها كانت حريصة جداً على إقامة علاقات ودودة جداً لإيهاب مع الإعلاميين
الذين يتابعون نشاطه.. وكنت واحداً منهم.. وكعادتها فى رمضان كانت تحتفى
بضيوفها وضيوف إيهاب بشكل يفوق الوصف.

كنت قد وصلت إلى منزل إيهاب - فيلته التى كانت جديدة وقتها فى
شارع قريب من عباس العقاد بمدينة نصر عقب الإفطار مباشرة.. ووجدت
بجوارها فى حجرة «المعيشة».. هى ليست حجرة طبعاً - عشرات الأصناف
من «الخشاف».. وحلويات رمضان.. وبجوارها جلست ذكرى.. وتولى
كلاهما توزيع «الغنائم» على أصحاب إيهاب.

كنت قد تعرفت على ذكرى قبل ذلك اليوم بسنوات.. وكنت أعرف
عنها قدرتها العجيبة على التحدث بالمصرية الدارجة، وشغفها الفطيع بحفظ
الكلمات الشعبية التى لا يعرفها إلا أبناء الحارات الضيقة.. كانت مهووسة
تقريباً بكل ما هو شعبى من أول «النكتة المصرية الحارقة».. وحتى أنواع
المخللات البلدية.. وكان من الطبيعى أن تجلس فى حجر السيدة أم إيهاب
لتسألها عن اسم كل نوع من هذه الحلويات والأكلات التى صنعتها السيدة
الكريمة لضيوف الليلة.. وبالمرة «الأمثال الشعبية» التى كانت الحاجة تجيد فك

أسرارها زى «المحبة تستر».. والتي أمسكت فيها ذكرى وكأنها أغنية جديدة.. كانت الحاجة تعلقت بها وأنا أسألها «إيه يا حاجة ده كله أنتى اشتريتى حلويات وخشاف الحسين كله»! فردت: «المحبة تستر يا محمد»!

وبعد دقائق امتلأ هول الفيلا بالحبايب.. وانتحت بى ذكرى، لتخبرنى شيئاً مهماً كانت تريدنى أن أعلنه للناس.. أخبرتنى أنها حصلت على حكم توثيق عقد زواجها من رجل الأعمال الشهير «أيمن السويدي»، وأن ذلك حدث بناء على رغبة أيمن.. وأنه من رفع الدعوى فى المحكمة - لأنها أجنبية - وأن المحامى جاء لها بصورة التوثيق، وأنها سترسله لى فى الصباح مع نسخة من ألبومها الجديد لأستمع له فى صورته النهائية، وأخبرها برأىي.. ورجوتها أن تفعل ذلك مبكرًا، لأننى سأسافر لقريتى فى الصعيد لقضاء العيد مع أهلى هناك - كانت تريد الذهاب للصعيد.. ولكل شبر فى مصر - ووعدتنى أنها عقب عودتها من رحلة مزمعة إلى ليبيا لإحياء حفل هناك، وبعد الاحتفال بصدور ألبومها وتوثيق زواجها ممكن تروح أى حنة فى مصر!!

لم يكن هناك أى شيء يشير إلى أن ثمة مشاكل قد اعترت علاقتها بزوجها الذى كان يمر بفترات حزن وغضب، بسبب سفرها المتكرر ورحلاتها الكثيرة إلى فرنسا والخليج وليبيا.. وسهرها ومعجبيها وطريقتها المتباعدة فى التعامل معهم.. كان غيورًا بشكل يزعجها أحيانًا.. ورغم ضحكاتها التى كانت تجلجل فى نواحي الفيلا فى تلك الليلة.. كنت أشعر أن هناك ما ينغص عليها فرحتها وتكتمه.. وأن شعورًا بالغربة لا يزال يطاردها يجعلها تتصرف بشكل معاكس.. توقفت قبل أن أودعها وأسألها «أنتى كويسة».. فقالت: «منيحة» ثم انتهت وأردفت «أحسن من أهلك»! كانت تظن أنه تعبير عن السعادة.. سمعتها من أحدهم فاعتقدت ذلك.. فضحكت.. وأخبرتها أنها بالنسبة لى «شئمة»! فاستغاثت بالزميل مصطفى يس الذى كان يقف قريباً منها، وطلبت من صديق ثالث أن «يرحلنى للصعيد» لأنى مش فاهم مصرى!

في فجر اليوم الثالث لحفل منزل إيهاب.. كنت في الطريق للبلد.. وفوجئت
باتصالها تشكرني على احترامي لرغبتها، وإرفاق عقد زواجها في الموضوع الذي
نشرته في «صوت الأمة» صباح ذلك اليوم.. ولما كان الخط مشوشاً سألتني أنت
فين.. فأخبرتها أنني في القطار.. وأن الصوت يقطع، «فإذا بها تغنى على الطرف
الآخر من الهاتف:

«يا وابور يا مروح بلدي..

بلغ، هتبلغ مين؟!

ما بقاش لينا حد..

ما لناش مستنين.. يا وابور»!

واندهشت لأنني لم أسمع كلمات هذه الأغنية ولا لحنها من قبل.. وأكملت
هي: «ده لحن عمك بليغ.. غنيته في فرنسا».. ولم أكن أعلن أنها قد سجلت أربع
أغنيات لبليغ وهي تنتقل بين باريس وليبيا منهم «زى الزمن» التي أصدرها
بليغ في ألبوم ضم ٤ أغنيات بصوته أثناء عزله الإجبارية في باريس وطبعها
«أبو حمزة».. صاحب نجمة القبة في ألبوم مجهول وعدد محدود من النسخ.. لكن
هذه الأغنية لم تكن منها:

«يا وابور قالولي أهلك متغيرين

قلتلهم أهل بلدى طول عمرهم

قادرين.. يغيرو بضحكهم ألوان السنين

ويخلو المر يحلى بضحكة وكلمتين».

لكن ذكرى التي كانت تنتظر أن تتغير ألوان السنين للأفضل، لم تكن تدرك
أن ما تبقى لها مجرد ساعات، وأن فرحتها المفاجئة بإعلان زواجها وألبومها
الجديد «يوم عليك» لن تدوم.

أتعبتني رحلة السفر.. وطقوس العيد.. وعدت للبيت مهدودًا فنمت وكأني ميت ليوقظني أخى الأصغر على اتصال من قناة الجزيرة.. ومن على الطرف الآخر يسألني عن ذكرى وآخر ما دار بيننا وأنتى على الهواء مباشرة، وأن ٢١ طلقة وجدها الطبيب الشرعى فى جسدها وبجوارها زوجها المنتحر ستظل لغزًا يحتاج إلى تفسير!! لم أكن قد أفقت من الذهول.. ساعات وأنا أتحدث لأصدقاء مشتركين وأنا مش فاهم حاجة.. فقط «ذكرى ماتت مقتولة» على يد حبیبها الذى یعشقها بجنون.

ولم أصدق.. هذه الفتاة المستحيلة كيف لها بهذه النهاية البشعة.. هذا الصوت القادم من «ريحانة الجنة» هل توقف عن الغناء للأبد؟!

تذكرت أنها وهى بجوارى فى طرقة مبنى دار الهلال العتيق، وكنا قد انتهينا من ندوة استمرت ٣ ساعات ما بين الجد والهزل مع كل الزملاء فى «المجلة».. أنها لم تصدق أن هذا المبنى عمره أكثر من ١٠٠ سنة.. ويبدو أنه أخذها إلى ذكرياتها فى بلدها تونس ولادتها فى العام ١٩٦١ لأسرة من عشرة أفراد - لديها ثمانية إخوة - وأن من أسماها «عانس محمد الدالي».. يبدو أنه كان يعرف أنها مثل هذا المبنى العتيق.. «هتلف العالم كله» وستظل «وحيدة».. عانس بالنسبة لها لم تكن إلا إشارة للوحدة!! رغم أنها أخت لسبعة آخرين ورغم كل هذه الزحمة التى تعيش أجواءها.

نجحت فى ١٠ سنوات أن تلفت أنظار التونسيين.. وضع لها عبدالرحمن العيادى مكتشفها وخطيبها فيما بعد ٢٨ لحناً من جملة ٣٠ لحناً قدمتها فى تونس.. وفى سوريا محطاتها الثانية أرادت كسر احتكارها لها والغناء لآخرين فحدث الخلاف وانفصلا.. وشعرت أنها حرة.. فطارت تغنى بشغف كل ما يقع تحت يدها من نغم أصيل وجميل.. فى ليبيا قدمت عشرات الأغنيات باللهجة المغربية، حتى صارت صاحبة أكبر رصيد لمطرب عربى فى الغناء الليبى، وكذلك فعلت فى الخليج لدرجة أنها الوحيدة تقريباً التى شاركت فى دويتوهات خليجية مع

محمد عبده وعبدالله الروشيد وأبوبكر سالم.. وفي مصر التقطها هانى مهنا الذى كان قد انفصل عن سميرة سعيد لينتج لها أول ألبوماتها «وحياتى عندك» ثم ألبوم آخر لم يحقق نجاحاً.. فتركته لتنتقل مع آخرين ولتفتح بيوت مصر كل شبابيكها لاستقبال صوتهما الهادر.. وتتحول ذكرى محمد من «عانس الدالى» إلى زوجة مصرية لرجل أعمال شاب كانت قد التقت صدفة فى محل «بلوز» الشهير على نيل الجيزة.. كان صاحب المحل.. وخطفته ابتسامتها الساحرة وطبيعتها غير المحدودة.. وبساطتها المدهشة لتستولى عليه تمامًا، فيمنحها قلبه وحرته بعد أن طلق زوجته فنانة مغربية اسمها نادين على ما أظن.. لكن الزواج الذى لم يدم سوى ثمانية شهور كان النهاية.

١٢ سنة مضت بالتمام والكمال على ذلك الرحيل.. والعيد الذى ودعها، كأنه لم يجر من يومها.. «اتغيرت السنين».. لكن «الأسامى.. هيه.. هيه».. وصوت ذكرى محمد لا يزال فى أذنى «هوه.. هوه»..

obeikandi.com

إبراهيم رجب.. جمل السيدة زينب

وإحنا عيال صغيرين كانت جميع ألعابنا «هاندמיד».. يعنى البنات يعملوا العرايس من القطن والهدوم القديمة.. والولاد يعملوا الكورة من «القماش» برضه.. وما فيش مانع نلف عليها دوبارة.. وبعدين نغمسها فى «البلك».. الى هوه «المازوت»

من الطين نعمل أشكال صلصال و«ترانات».. والأخيرة عبارة عن «دائرة طينية مخروطية بثلاث فتحات» بعد أن تنشف تحت صهد الشمس نقوم بإدخال خيط حرير «تو» ونشده من الأطراف.. وهكذا من «فخ» صيد القمرى المعمول من الحديد.. للسنارة الحديد برضه.. للاسكوتر الخشب وما كانش اسمه «اسكوتر» طبعًا.

كل شيء من الطبيعة.. وفى طبيعة الصعيد الذى كان أيام طفولتنا «فراشات» كنا نطاردها وطيور لا نقرب منها لأنها فى عرف أهلنا مقدسة.. ومنها «هدهد سليمان».. و«جمل السيدة زينب» والأخير لم يكن جملاً على الإطلاق.. هو مجرد فراشة ألوانها جميلة!!

لسنوات ارتبط اسم «السيدة زينب» فى مخيلتى بهذا الطائر.. وبدعوات أمى لهذه السيدة التى تنصر العواجز.. والتى يذهب والدى سنويا لزيارتها مع «سيدنا الحسين».. ولما كبرنا قليلاً عرفنا أنهم «آل البيت».. وأن الأماكن التى تحيط بمقاماتهم مقدسة عند أهاليها.. وناسها طيبون.. «كفاية إنهم عايشين فى

ضل بركة أهل بيت النبي!!..

وحينما جاء الموسيقار النوبى الجميل أحمد منيب لقريتي.. وسمعت منه أغنية عمنا فؤاد حداد «الدنيا برد».. عرفت أنه يعيش فى السيدة زينب.. وأعطانى عنوانه كاملا لزيارته عندما أصل للقاهرة فى أى وقت.. ويا دوب ستين وعملت فيها جدع - هجيب الديب من ديله بمشوار لحد السيدة - أخذت بعضى وجيت لعم أحمد منيب.. أحلم بعطف السيدة وبركاتها.. وبأن أصبح «شاعر زمانه» عبر بوابة الحاج أحمد منيب.

دخلت بيت الحاج مع صلاة المغرب.. كان فى حارة تقريبا بجوار «الرشيدى الميزان».. كان نزل يصلي.. وانتظرته مع صديق لم أقابله بعدها وإن عرفت أنه الشاعر الجميل محمد القصاص.. المهم عمنا أحمد جه.. وقعد يغنى حاجاته الجميلة ونحن فى غاية المتعة.. ثم توقف ليستمعنى ويعلمنى أول درس.. «مش كل اللى تعيشه تكتبه.. ومش كل اللى يقوله الناس بيقى غنا».. اكتب الى الناس ما تعرفش تقوله مع إنها عايشاه!!، وخرجت حزينا رغم أن الرجل «أخذ منى غنوة.. وبدأ فى تلحينها قدامى كمان:

«ياه عليكى لو ترضي

أبدر حبابيكى فى أرضى»

لكننى شعرت أنه لم يكملها وأنه «عشان ما يكسرش بخاطرى لحن المذهب.. لا أذكر ما تبقى من كلام.. يمكن خالد منيب يفتكر!!، ومن يومها ارتبطت السيدة فى ذهنى بكل ما هو جميل.

من سبعتاشر سنة تقريباً أرسل لى المؤلف مصطفى إبراهيم سيناريو مسلسل اسمه «أجنحة الشمس».. وطلب أن أكتب أغنياته ليؤديها رامز جلال وحنان شوقى داخل المسلسل كإعلانات وفعلت ولم أعرف من هو الملحن.. حتى فوجئت بأنه عمنا الجميل الى باسميه «جمل السيدة زينب».. إبراهيم رجب.. صاحب «يا ما زقرق القمرى على شجر اللمون، تعيشى يا بلدى، يا بلدنا لا

تنامي، صاحب أغنية فيلم «الكيت كات» الشهيرة الى غناها محمود عبدالعزيز.. وصاحب مجاريح «هنقول ونعيدع المجاريح» بتاعة محمد رشدي.. و«أنا عايز صبية يكون قلبها عليا».. من الآخر يعنى ده واحد من آخر الجيل المدهش بتاع الجملة الشعبية الى ما لهاش زي.. وعرفت أنه ساكن هناك عند «الرصيف الى في السيدة بتاع عمنا فؤاد حداد».. وبالمناسبة عم إبراهيم هو نفسه ملحن أغنية «ولا غنى ولا صيت» بتاعة فؤاد حداد الى غناها محمد قنديل.

دخلت بيت عم إبراهيم الى بيطل على جنية.. وجنب منه بيت أثري.. وأول الشارع قهوة من قهاوى السيدة ومحلات عطارة من الى ترد الروح.. كنت قد حصلت على تلفونه وحددت الموعد.. ووجدتني أمام قاعة كبيرة ظلمها أهل الموسيقى مائة مرة.

في نفس البيت الى عاش فيه الأبندى مع عم إبراهيم وكتب وهيبة وبلديات وغيرها.. البيت الى لحن فيه إبراهيم رجب لصالح جاهين وفؤاد حداد.. نفس البيت ده فيه عشرات من الكراتين الى فيها «نوت الموسيقى» الخاصة بفيلم «شيء من الخوف».. و«البية البواب» وفوق الترابيزة الخشب الى عمرها من عمر أولاد عم إبراهيم شرايط كتير فيها «حلقات شاعر عباد الله» الى كتبها عمنا فؤاد حداد.. ومش بعيد عنها صورة لسيد مكاوى.

عرفت من عم إبراهيم الذى أصبح الآن «مهندس كمبيوتر» بيحول شرايط الكاسيت الى سيديها.. ويعمل لنفسه موقع ع النت علشان يحط فيه أغانيه، أنه واحد من تلامذة سيد مكاوي.. وأنه أصلا اشتغل مدرس موسيقى فى الأرياف وطلع مع الشيخ سيد يغنى وراه فى الحفلات ويتعلم منه.. وأنه اتعلم بعد كده التوزيع والكتابة.. وأنه دخل المعهد بمسابقة عملها جمال عبدالناصر.. وراح مسرح العرايس الى كان فى العتبة ومنه عرف شلة الفولكلور والغنا للشعب.

عمنا إبراهيم رجب الى لحن لسيد حجاب والأبندى ومجدى نجيب

وقبلهم فؤاد حداد وصلاح جاهين.. والى غنى له عبد الحليم ورشدى وقنديل..
لا جوايز الدولة افكرته - لأنه ما حدش رشحه - وهو لما تعب واضطر يركب
جهاز ينظم ضربات قلبه.. واضطر إنه يتوقف عن التلحين والغنا كمان - بناء
على نصيحة الطبيب - لم تسأل عنه نقابة الموسيقى ولا أى جهة فى مصر.. ولم
يطلب الموسيقار الكبير الذى تعرفه جامعات العالم المحترمة علاجه على نفقة
الدولة ولم يطالب بذلك أحد.

إبراهيم رجب الى غنى بصوت المجموعة وصوت شريفة فاضل:

«والدك وناسك دهب.. يا بلدنا

رملك وطينك دهب.. يا بلدنا

عنبك وبلحك دهب.. يا بلدنا

قمرك وشمسك دهب.. يا بلدنا»

يتذكره الطين والرمل والبلح والعيش والشمس والقمر.. ولا يذكره ناسها
إلا قليلا.. ورغم ذلك لم أشعر لحظة أن الرجل الذى قارب على التسعين
غاضب أو حزين.

يوم ١ فبراير من عام ٢٠١٠.. يعنى بعد ستة أيام من بداية ما سميناه ثورة
٢٥ يناير.. فوجئ عم إبراهيم بلافتة كبيرة فى الميدان مكتوب عليها «والله لبكره
يطلع النهار يا خال» وصورة لمحمد حمام.. فرح العجوز الجميل أن شبابا تذكروا
أغنيته.. وفرح أكثر بعد علم بأنها أصبحت من توائم هذه الثورة.. وزاد فرحة
بعد ما سأل الشباب على الفيس عن ألحانه الأخرى لحمام «يا بيوت السويس
يا بيوت مدينتي».. وما «بلاش».. وغيرها.. ووجد من الأجيال الجديدة من
يسأل عن أغنياته على الزبيق التى لحنها للمجموعة:

قصر الوالى طبعا عالي

مليان حتى لو الكون خالي

بدهب وفاروز وكنوز فى كنوز

وإن شبع بطنه اليد تعوز

وإن عازت يده السرقة تجوز

يضحك.. نبكى إحنا طوالى

أمال إزاي يبقى الوالى؟!

يفرح عم إبراهيم بمن يحدثه عن ألحانه التى صنعها من «روح الشعب»
و«ريحة السيدة» لعشرات المطربين.. ويحزن لأن الناس الذين غنى لهم ولا يزال
قد ينسونه فى زحمة ما يقاسونه.. لكنه مثل السيدة زينب لا يريد منهم ولا منكم
سوى زيارة ولو مرة فى السنة.. كل سنة وأنت طيب يا عم إبراهيم.. ومدد يا
طاهرة.. مدد.

obeikandi.com

إبراهيم عبدالفتاح.. ولا عمره ليلة بات فيها

أشهرها «الشهد والدموع» و«ليالى الحلمية» لصديقنا الشاعر حسن رياض الى كتب أغنية «من غير ما تتكلمى» غنوة جميلة اسمها «بتنفس العمدان» الغنوة قديمة ومش فاكـر مين كان بيغنيها.. بس الى فاكـر منها سطر يقول «قلب البلد همدان» والى بيـفكرنى بيه دايمـا وسط البلد لو عدت فيه ومالقيتش إبراهيم عبدالفتاح.

وزى منا، مش ممكن أتخيل أن شوارع وسط القاهرة، من الممكن أن تخلو من أحباء لى من أمثال يسرى حسان.. ومحمود الحلوانى ومصطفى الجارحى، وأكرم مراد وطاهر البرمبالي.. مش ممكن أتخيل أن فيه بلد يبقى فيها شاعر زى إبراهيم عبدالفتاح ومتغنـيش.

كتب إبراهيم عشرات الأغنيات ولم يخب ظني في أغنية منها.. لكنه كتب في العام الأخير وحده عشرات الأغنيات، فيما هو يجاهد لقمة العيش والغربة في الأردن.. أغنيات وقصائد إبراهيم الأخيرة التي كتبها على صفحته بالفيس بوك - وهذه إحدى حسناته القليلة.. الفيس طبعاً مش إبراهيم كأنه ادخلها «الحين ميسرة» جميعها تبكى جميعها، أغنيات حادة وموجعة لكنه «يكتب عشان مبكيش».. ويبدو أنه غالب دموعه وقدر عليها.. لكنه لم يضع في حسبانـه أننا سنمـارس فعل البكاء بدلاً عنه.

إبراهيم من مواليد ٥٩ يعنى قرب يطلع معاش.. لكنه لم يلتحق بوظيفة يتورط فيها بفعل الحضور والانصراف، على حد تعبيره، اشتغل كثيراً بالكتابة

لمسرح الأطفال بالذات.. واشتغل في الصحافة الحرة - كما يسميها - بمعنى أنه مش مرتبط بعقد مع حد.. روزاليوسف، الوطن الكويتية، المجلة، سيداتي سادتي، العرب ومثلما أننا لا نصفه صحفياً.. أعتقد أنه هو أيضاً لا يعتبر نفسه كذلك.. مهنته الوحيدة هي الشعر.

شباك قديم.. ده اسم أول ديوان لإبراهيم واسم غنوة كتبها لحنان ماضى.. لكنه ليس مجرد شباك.. إنها عيون الشاعر الذي يعتبر فؤاد حداد إمامه، لكنه لم يكن من تلامذته مثل معظم أبناء جيل السبعينيات.. ورغم أنه عاش في «الوراق وإمبابة» بالقرب منه ومن شلة «تلاميذه».

الشباب القديم الى يبص منه إبراهيم شباك واسع جدا.. ربما هو أكبر من كل شبابيك الإمام الشافعى ومصر القديمة الى اتولد فيها.

من ٢٥ سنة وأكثر، كتب إبراهيم عبدالفتاح أغنيته الأهم على الأقل من وجهة نظر أبناء جيلي - لما الشتا يدق البيان.. وفيها أعلن:

«لكني باحتجلك ساعات».

إلا أن احتياجه هذا لم يقابله احتياج من الطرف الآخر، فظل يحبها من طرف واحد ٢٠ سنة كاملة كتب فيها لعلى الحجار وحنان ماضى وإيمان البحر درويش ووردة الجزائرية ورياض الهمشري، طارق فؤاد ومدحت صالح.. وغيرهم.. ورغم كتابته لكل هذه الأسماء، إلا أن الجمهور «العادى» الذي يتنفسه عبدالفتاح لم يعرفه.. أو لم يتعرف عليه إلا عندما غنى له وائل جزار من ألحان زياد الطويل.

«ما تقولشني ضهرى يا ناس مكسور

بصحى في هموم وبنام فيها

ما النبي عاش بيني في قصور

ولا عمره ليلة بات فيها..

ما تلينش أبداً وحايها

المائلة تقدر تعدها»

لم يلن إبراهيم.. لكنه لم يستطع أن يعدل المائلة أو هكذا اعتقد.

لا أذكر متى تعرفت على إبراهيم بالتحديد، لكنني أظن أن بعض الندوات كانت تقام في قصر ثقافة الغورى أوائل التسعينيات من القرن الماضي.. وأظن أنني تعرفت عليه في إحداها.. ورغم كل ما كان يشاع عنه من كونه «براوى» إلا أنني لم أجده كذلك.

وتصادف أن عملنا معاً في ألبوم مجنون بعشقتك لأسامة الشريف الذي كنت أسكن معه.. وكان إبراهيم يسهر معنا بصحبة فاروق الشرنوبى وعدد آخر من الأصدقاء من الوسط الفنى.. وكانت هذه السهرات فرصة لاستماع لقصائده وأغنياته الممنوعة - بعضها ما زلت أحتفظ بتسجيلات لها.

«يلي أنت أيامك بانجو

تسيب الأسكواش تلعب تانجو

من المنصة إزاي تنجو

إن لم تكون دافع أجرة

الله يا بدوى

هات اليسرى»

ومن قصيدة لأخرى يتأكد لى أنني أمام تجربة حقيقية من الشعر الخالص تحتاج لزم من آخر غير ذلك الذي نعيشه، تعثر إبراهيم في عمله غير الدائم بتلك المجلات.. وأعتقد أنه من سلالة الشعراء الذين لا يريحهم «الروتين الوظيفي» وربما أدى عدم استمراره في وظيفة معتادة، ساهم في عدم استقراره أسرياً.. لكنه مثل أغنيته في الفيلم الشهير «حين ميسرة» كان يصير على أن يأخذ حقه:

العيشة مرة لكن

أهى أحسن من مفيش

علب الصفيح مساكن

وفى قلب الموت بعيش

وإن تُمِت حتلاقينى

حين ميسرة»

ملاحم إبراهيم الطيبة مثل شوارعنا القديمة.. فيها شيء مريح لمن يشعر هو
حياله بالراحة.. لكنها مثل «شوك النخل» تزعج من لا يحبونه لسبب أو لآخر.

«تندهنى وأندهلك

لما الحنين يهلك»

وكان النداهة لا تتركه أبدا.. فكم من فرصة حقيقية سنحت لهذا الشاعر
الكبير أن «ينام» على وسائل حريرية، لكنه لم يفعل؟.. كم من فرصة سنحت
له بأن يعيش حياة مستقرة، لكنه لم يفعل.. لدرجة أنني كنت أشعر في بعض
الأحيان أنه يعتمد ذلك، وكلما قررت محادثته في ذلك تذكرت أن عمنا فؤاد
حداد ومن بعده الخال عبدالرحمن الأبنودى، وعمنا سيد حجاب لم يهنا أحدهم
بوظيفة مستقرة أبدا، وكان أولى بعمنا سيد وهو شخص دقيق ومنظم جدا أن
يفعل ذلك.

وبمناسبة الأبنودى.. يعتقد كثيرون أنه كان على خلاف مع عبدالفتاح
بسبب قصيدة ساخرة كان قد كتبها إبراهيم يندد فيها بالخال عقب موقفه من
غزو العراق للكويت، وكتابة قصيدة الاستعمار العربى.. لكن إبراهيم وفى بيتى
فى شارع السودان أسمعنا قصيدة رائعة فى محبة الأبنودى منذ سنوات طويلة -
أعتقد منتصف عام ١٩٩٦ وحينما توفى الخال رثاه عبدالفتاح بقصيدة مدهشة،

وأعتقد أنه لم يفعلها مع شاعر آخر.. وأظن أن قصيدته الساخرة إياها لم تكن إلا مداعبة بين شاعرين.

عما لا يعرفه البعض عن عبدالفتاح، أنه صاحب تجربة مهمة في الكتابة الساخرة، وهذا ما لم يكشف عنه حتى الآن.. ولديه مجموعة من الأغنيات الرائعة في هذا السياق في مقدمتها «الأرض بتتكلم عربى.. وعربي سكت مبيتكلمش» التي لحنها وغناها فاروق الشرنوبى.. وغيرها من الأغنيات التي يحفظها «سماء الليالى القاهرية».. وربما يكشف إبراهيم عنها قريباً.

في مرة من المرات كان إبراهيم يقود سيارة اشتراها مستعملة أو ربما هي سيارة زوجته الأولى - تزوج في المرة الثانية من الفنانة نورهان وله «طفلان» على ومعاذ.

وفما هو في الطريق إلى مطلع كوبرى فيصل نسى «هيمه» أنه في السيارة وأنه قائدها وأخرج كلتا يديه ليحدث أحد المارين بجواره ونجا من الموت بأعجوبة.

ربما لا يتذكر إبراهيم ذلك الأمر الآن.. لكنه حتما لا ينسى أبداً أن يطالبنا بأن:

«اضحك يا عالم وانتشى

النيل مضي هجره ومشى

ومصر بين الضفتين عريانة

تحت الشفتى

ولأنها كذلك.. ربما تكون إجابة سؤالى الذي بدأت به: إزاي فيه بلد يكون فيها شاعر كبير زى إبراهيم ومتغنيش؟! اكتب يا عم إبراهيم والنبي عشان مبكيش.

obeikandi.com

مدحت صالح.. الحاوي سليل الرفاعي!

وإحنا في الصعيد منتصف الثمانينيات كان التلفزيون الأبيض والأسود من شركة نصر هو «الأملة».. يا دوب كل نجع فيه واحد.. وغالبًا كان التلفزيون ده عند واحد من كبار القوم.. وكان من الطبيعي أن تكون عملية إخراجه من المنزل إلى الدوار لمشاهدة «الماتش» أو «للقهوة» أمرًا غاية في المتعة.. وكانت عملية شحن بطارية الجرار احتياطي ربما انقطع التيار وكثيرًا ما كان يفعل.. وعملية شحن البطارية كانت تقتضى الذهاب للبندر.. حيث محطة البنزين!!

ويوم الخميس - ليلة الجمعة يعني - غالبًا كان هناك حفل غنائي.. أضواء المدينة أو ما شابه ذلك.. وفي واحدة من هذه الحفلات فوجئنا نحن الجالسين في «باط الترعة» بصوت شاب نحيل مبتسم يغنى بطلاقة «غنى المزمар وقال ساعة بالخلو مال.. ما أحلاكى يا صبية يام الشوق والدلال» وأظن أن الحفل كان منقولًا من بنى سويف.

في اليوم التالى كنت أسأل عنه.. وعرفت أنه صوت جديد ليس له سوى ألبوم وحيد اسمه «زى ما قالوا عينيك» ونشرت إحدى المجلات عنوانه في شارع القدس الشريف بالمهندسين.. ومن عبطى أرسلت له خطابًا - كنت طالبًا في ثانوى - وتخيلت أنه سيرد.. وأخبرت أصحابى بذلك وظللت لأسبوعين أتلقى نكاتهم، لكنه نصرنى وجاءنى منه خطاب يطلب حضورى لمنزله ومقابلة السيد «نبيل صديق»!

وخذت توبى فى سنانى ونزلت القاهرة بعد ليلة غبرة فى قطر الدرجة الثالثة الى بيقف لكل الى بيشاور له، ولأنى ما أعرفش مواصلة غير الأتوبيس ركبته

من رمسيس للوراق.. ومشيت من الوراق للمهندسين لحد ما وصلت الفيلا..
لم أكن أعلم أنه متزوج من المناضلة ليلي صديق ابنة البكباشى يوسف صديق
«المفجر الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو»، ولم أكن أعرف أن نبيل صديق هو شقيقها،
لكنه قابلنى على كل حال، ولسوء حظى عدت للصعيد دون مقابلة مدحت،
وإن انتظرت هاتفا منه أو من نبيل جاء بعد شهور، وفى أول مقابلة وجدت
نفسى أمام «حاوي»، ذكى ولماح وابن بلد، وجدع، وفاهم، كانت مجرد مقابلة،
وأعتقد أنه أول حوار صحفى فى حياتي، واتفقنا على أشياء كثيرة لم تتم، لكنه
كان أول مطرب من لحم ودم أشوفه فى مصر. مرت سنوات وأنا أتابع نجاحه
مع سامى الحفناوى وفاروق الشرنوبى ووائل هلال وعماد حسن، وأدمنت
أغنياته «آسف على الأحلام، كان عمرها قصير، وبحلم على قدي، خاصمت
الشوارع، كوكب تاني، تندهينى.. إلخ» وأصبحت شاعرا، ولى ألبومات
فى السوق، وفى كل مرة ألتقيه أكتشف وجها جديدا من وجوه الحاوي، الى
جراه ما يخلاش أبدا، ولو كنت عايز تعرف مدحت صالح بجد اسأله عن
سيد مكاي.

ولو عايز تعرف مدحت، لازم تعرف خالد صالح، وأحمد صالح، هذا
الثلاثى المولود فى جزيرة بدران، صورة حقيقية لجذعان شبرا، الشقاوة الى على
أصولها، والجدة الى على أصولها، وخفة الدم الى ملهاش حدود.

فى إحدى الشقق الكثيرة التى عاش فيها مدحت، قابلته مرة فى شقة أظن
أنها فى العجوزة، بالقرب من شهرزاد، أسمعته لحنًا لصديقى ممدوح صلاح، لم
يعجبه الكلام فيما أظن لكنه بلطافة أولاد البلد، أخبرنى أن الأمر ليس بمزاجه،
وأنه يريد كلاما جديدا وفى الوقت نفسه «يجب السوق»!!

مدحت صالح الذى تعلم فى الأزهر - سقط كثيرا جدا على حد تعبيره -
يعرف «الكفت» فى الأغانى التراثية القديمة، ولم يترك أسطى من أسطواتها ولم
يتعلم منه، لكنك لن تشعر بذلك أبدا حتى فى حفلات الأوبرا، وهو يغنى ثلاث

سلامات لقنديل أو غيرها لن تشعر بذلك، هو يغنى ما يحس أنه يريد قوله الآن، وكأنه أغنية جديدة من أغنياته الخاصة.

انتقل مدحت صالح بالاستديو الخاص به من شارع جانبي بجوار حديقة الحيوان، إلى شارع جانبي بجوار أكاديمية الفنون بالهرم، إلى شارع جانبي بميدان لبنان، وفي كل مرة يفاجئني بتمثيله لدور «التاجر الشاطر» لكننى لا أصدق ذلك.

هو ممثل موهوب وإن كان ينكر ذلك، لكنه تاجر غير موهوب من وجهة نظرى، وإن كان ينكر ذلك أيضا، لأنه لو كان يريد التجارة لكان أغنى مطرب مصري الآن، فلم يكن هناك منتج واحد في الوطن العربى لا يريد العمل مع مدحت الذى نجح في كل شيء يخص الغناء. مدحت ليس مجرد وجه مبتسم، لكنه في رأى الصوت المبتسم الوحيد في مصر، فهو في عز ما يغنى للأحزان، لا بد أنك ستشعر بالبهجة في حنجرتة، في «تنميلة حبال صوته»، وإذا كان كل شخص فينا قد منحه الله حبلين أحدهما كاذب والآخر صادق، فإننى أعتقد أن مدحت صالح يملك «حبلين صوتيين صادقين» تماما.

يلوم الناس مدحت صالح على تعدد زيجاته، وعلى عدم اهتمامه بالإعلام، وعلى غيابه كثيرا عن سوق الكاسيت - لم يعد موجودا الآن - لكننى أعتقد أنه يملك من المبررات ما كان سينهى هذا اللوم من «أذهان محبيه»، لكنه لم يفعل، ولن يفعل.

في إحدى المرات القريبة كنت في الاستديو الخاص به، وكانت هناك مطربة عربية وابنه الوحيد أدهم، وفاجأنى مدحت بأن أدهم قرر إصدار ألبومه الأول، فطلبت رأيه فيه، ففاجأنى أنه لم يسمع شيئا من أغنياته سوى أغنية كان قد جهزها أحمد فرحات لمدحت وأدهم طمع فيها، وأنه لا يحشر نفسه في اختيارات أدهم على الإطلاق، وحكى لى أنه منذ وقت مبكر لا يتدخل في حياة أدهم، وأن له فريقا من الشعراء والملحنين من جيله، وأنه يثق فيهم، وأضحكنى عندما

أخبرني أن صور عمرو دياب في حجرة أدهم في يوم من الأيام كانت أكثر من صور مدحت وضحك!

تزوج مدحت منذ سنوات من شاعرة سكندرية على ما أظن، واعتقدنا أنها ستكتب له كثيرًا، لكن هذا لم يحدث، ولم أفكر في الأسباب، وتوقعت أنه نفس الشخص الذى أظن أنني عرفته منذ ٣٠ سنة تقريبًا، يعيش حياته ولا يريد للآخرين أن يتدخلوا فيها، مثلما لا يتدخل هو في حياتهم، يعيش بقلب باسم، لا يعمل للزمن أى حساب، تغلبه النكتة وتصطاده «الكلمة الحلوة».

في آخر مكالمة بيننا، عرفت أنه يجهز ألبومًا كاملاً لبهاء الدين محمد - الشاعر والمنتج معًا - وأنه يعسكر تمامًا حتى ينتهى منه، كنت قد اتصلت به لأهنته بخطوبة «هانيا» ابنته الوحيدة، ولم أشأ أن أداعبه بأنه كده هيبقى جد قريب، لأننى شعرت أنه يتعامل مع الاستديو هذه المرة، وكأنه فى «مهمة شاقة» وهذه ليست عادته، مدحت صالح بيغني عادة وهو «سايب إيده» لا تشعر أنه يبذل جهدًا، ويعيش حياته «زى المليونيرات»، ما بتفرقش معاه، لكن يبدو أنه «بتتغير»، على عكس ما كان يؤكد دائمًا.

«مش ممكن اتغير، مهما الزمان غير، ده هواكى متقدر، مكتوب على جبيني»

هو الآن فى مرحلة «نضج» أظنه وصل إليها منذ سنوات، لكننى أعتقد - وهذا ما لم يقله - أن السياسة التى يهرب منها طول عمره فى السنوات الخمس الأخيرة، أرهقته تقلباتها مثلما أتعبت كل العرب، وأن جراب الحاوى الذى كان يضع يده فيه، باعتباره مندوب الرفاعية، أوشك أن يصدمه بأنه قارب على النفاق، لكننى على العكس أعتقد أنه سيفاجئنا مثل كل مرة، فالحاوى لن يفقد سحره أبدًا.

«وراك، وراك يا شاطريا ملخبط المسائل، يا مقدم الأواخر ومأخر الأوائل، اسمك ما عرفش اسمك ولا حتى شفت رسمك، ولا اتخيلت كثمك بعيدة من قريبه، لكن لازم حجبيه».

مجدي نجيب.. وش القمر

قبل أن أشاهده رأى العين لم أكن أعرف عن شكل الشاعر إلا صورة «جابر أبو حسين».. ولم يكن في ذهني لمن همسواه سوى تلك الصورة التي كانت تملأ الدكاكين الريفية لفارس عربي يمتطي جواده.. هو حتا واحد من الهلالية.. ولازم يكون معا ربابة.. وحينما تطور الأمر قليلا كانت هناك صورة أحمد شوقي بك.. وفي أحيان أخرى أصدقاء عباس العقاد في مسلسل سارة!!

هذه هي صورة الشاعر التي كنت أعرفها طفلا.. فلما رأيت عددا كبيرا منهم في قريتي لم تعجبني «حالتهم» فهؤلاء حتما ليسوا بفرنسان.. كما أنهم لا يجيدون عزف الرباب.. ولم تدهشني قصائد نزار قباني وفاروق جويده أبدا.. فحتى فروسياتهم المتخيلة بسبب غزواتهم لمخادع النساء.. قهرها الشاعر الشعبي الذي كنت أحفظ عنه.

كنت أحفظ اسمه من أغنيات شادية «غاب القمر يا بن عمي.. وقولوا العين الشمس ما تحماش».. ومن أغنيات فايزة أحمد «آخذ حبيبي».. و«قول للناس إحنا حيينا».. و«كامل الأوصاف» للعندليب.. و«كمان» «قسمة ونصيبوا الحب رمانى» لهانى شاكر.. رغم أنى لم أحبها ولم أحب هانى.. لكننى كنت تعودت حفظ أسماء المؤلفين من برنامج «ما يطلبه المستمعون» الذى كان يذاع فى السابعة والنصف بعد المغرب من «صوت أمريكا».. ولم أكن قد قرأت له شعرا كثيرا.. وإن كنت قد قرأت عنه رأيا كتبه فاروق شوشة يقول فيه ما معناه أنه والأبنودى

وسيد حجابفرسان التجديد في قصيدة العامة.

وكان الشاعر الراحل د. أحمد أبورحاب عضو مجلس النواب قد أسس فرقة لأطفال العسيرات.. وأقام ليلة غنائية مسرحية هم أبطالها قدموا فيها عرضاً لفدوى طوقان وفؤاد حداد وعمر نجم والشاعر الفرنسي الكبير جاك بريفيو.. وجاء مجدى نجيب بصحبة وفد كبير لمشاهدة العرض وكان من بين أعضاء الوفد فؤاد معوض «فرفور».. والموسيقار أحمد منيب والملحن محمد قابيل وآخرون.. وفي اليوم التالى للعرض أقيمت أمسية شعرية لعننا مجدينجيب في مجلس مدينة جرجا.. سمعته فيها لأول مرة يقول شعرا غريبا بالنسبة لي.. كانت الليلة هى إحدى ليلالشهر فبراير من عام ١٩٨٧.. وجاملنى منظمو الندوة وقدمونى كمؤلف مبتدئ.. وسمعنى عنما مجدى وأنا أرتعش.. لأننى كنت وما زلت أعتقد أن ما كتبته كان «كلام فارغ».. فكيف بى ألقيه فى حضرة شاعر كبير هو أحد أهمأعمدة شعر العامة فى بلادنا!!.

انتهت الليلة وذهبنا لاستراحة المحافظة وفوجئت به «بينده علي».. وأجلسنى إلى جواره.. وأمام جمع من الناسفاجأنى «إنت هتبقى شاعر كبير».. تعالى أقعد جنبى.. وجلست بجواره لأسمع منه بعض الحكايات عن بداياتشعراء كبار وكيف أنهم قاوموا ولم ينهزموا مثله!!، وأننى يجب أن أفعل مثلهم.. وبمودة غالبية طلب أن أكتب له ما ألقيته فى الندوة!!، وفعلت.. «بعدها بأسبوعين فوجئت به ينشر ما أخذه منى على صفحتين بمجلة الإذاعة والتليفزيون بمقدمة أظنها أجل ما كتب لى وعنى فى حياتى!!، مع صورة كبيرة لى.

وبعد شهر كنت أزوره فى منزله.. أشكره وأسمع منه حكايته مع محمد منير.. وعبدالخليم وفايزة وشادية.. وصباح.. ووردة.. حكايته مع الرسم وقصة كل لوحة تزين منزله.. قصة مع الكتابة والرسم للأطفال.

كان يحكى لى وكأنه صديق.. واستمرت هذه الخصلة فيه لسنوات.. وحين جئت لمجلة الإذاعة والتليفزيون صحفيا لم أكن أتخيل أننى سأعمل معه.. وأننى

في العدد الأول في وجوده يخبر القسم الفني بأبنى مسئول عن الصحفيين.

وطوال فترة عمله معنا في «المجلة».. كان يحكى لى كيف أن صديقه الأهم عبدالرحيم منصور كان يجلس علي نفس الكرسي الذى أجلس عليه.. وأنه كان يفطرها هنا «فول وطعمية» رغم أنه لم يكن صحفيا بالمجلة، وحكى لي كيف أنه لم يكن ينوى كتابة الأغاني وأن عبدالرحيم حاول إقناعه بناء على طلب بليغ حمدي.. وأن بليغ تحداه أن يستطيع الكتابة على لحن «قولوا لعين الشمس» وأنه لم يكن يتخيل نجاحها وأن الموضوع كله كان عنداً في بليغ.

وحينما زهق مجدى من الروتين السخيف في المجلة ومن تفاهات الصغار «سوّى معاشه».. وراح ليعمل مع هالة سرحان في مجلة «سيدتي» ولما غضب منها - قلب الترابيزة ومشى - رغم أن شقته كانت قد احترقت بكل ما فيها.. كنت قد شاهدت عشرات التحف في «شقة الدقي» ومنها «سيف» أهدها له الملك قابوس.. لكن شيئاً لم تبقى عليها النار.

وفي ليلة من ليالى السهر بمكتب فاروق الشرنوبى بشارع العشرين جاء عم مجدى وجلس على الأرض أسفل ما يجلس وأمامى فاروق يعزف ويغنى ويجواره المطرب خالد شمس.. وفجأة وجدت مطراً ينهمر على «عنقي» فنظرت للأعلى لأجد عيون عمنا مجدى وهى تهطل دمعا.. لم أتململ من مكاني وكذلك فاروق الذى كان يغنى «كاملاً لأوصاف» وبالتحديد:

«قالوا الصبر.. بحوره بعيدة».

وبعد ما انتبه فاروق توقف.. وطلب منى والشاعر إبراهيم عبدالفتاح أن نواصل عم مجدى الذى كان فى حالى صعبة.. لم نشأ أن نسأله.. لكننى ألتقيته بعدها بشهور وعرفت أنه كان حزينا بسبب تصرفات محمد منير.

كان عمنا مجدى هو الوحيد تقريبا من جيل الآباء الذى استمر فى الكتابة لمنير منذ ألبومه الأول «بنتولد».. واستمرت أغنياته من «سؤال بسألك إيه آخره الترحال» و«شد القلوع يا مراكيبي» إلى «ممكّن وليل وإذا كان لزاما علينا

الرحيل» وغيرها.. وكعادة منير المجنونة «طلّ عين عمنا مجدي».. لكن الأخير
والذى يملك قلب طفل فيمدينة لا تعترف بالأطفال لم يكن يغضب من منير
أبدا- ولا من غير منير- هو فقط يرسم ويكتب.

بعدها بسنوات قابلته في عزاء شقيق محمد منير.. جلست أمامه.. وبحلق
فّ لدقائق قبل أن يتذكر أنه يعرفني!!، قمت واحتضنته وعاتبني «اسأل عليا».

الرجل الذى علمنا أن «الحزن شاطر.. والفرح شاطر.. ولكنى قادر فى
الحزن أفرح» غلبه الحزن.. ولم تفلح مطالبات ياسر رزق باستكتابته وجعله
يرسم بشكل شبه يومى للمصرى اليوم- فى كسر عزلته.

لم تستطع سنوات الاعتقال فى الواحات أيام عبدالناصر أن تهزم مجدى
نجيب.. وخرج شاعرا ورساما وصحفيًا وإنسانا.. يوزع محبته على الجميع..
لكن يبدو أن أراح أيامنا استطاع أن يفعل ذلك ويهزم الفارس الذى يمتطيا لجواد
فى «رسومات دكاكين قريتي».. وفى قلب مجدى نجيب

«ضهر القمر.. بينخ

فوق ضهر الوله..

وشه الحزين لامس

شفاف وردتي

ملّس على كتافى ورقد

يا وحدتي..

وكأنى لسه بتولد».

معضاض مؤيد القاسم.. الشهرة مجد

من منا لا يحب القدود الحلبية؟ من منا ما يدورش على المشمش الحموى؟
طب مين فينا مش نفسه في الزيتون السوري. شىء ما أعمق من الوحدة التي
أبرمها جمال عبدالناصر يربط بين المصريين والسوريين، وربما لهذا لا أستغرب
أن يعيش بعضهم بيننا وكأنهم في بلادهم والعكس.. سواء في هذه الظروف
الصعبة التي تمر بها دمشق.. أو في الأيام العادية.

ومثلى مثل معظم المصريين أحب «العيش الشامى».. والجمال الشامى..
والغناء الشامى أيضا.. ولذلك كان من الطبيعى أن أحب صوت «مجد القاسم»
من أول مرة سمعته فيها.

أول ما سمعته لمجد.. لم يكن أول ما قدم للساحة من أغنيات.. لكنه أول
ألبوم نجح له «بأمر الهوى» وكان قد ضمته أغنية «حيرت قلبى معاك» لأم
كلثوم.. لأجد نفسى أمام صوت شجى وقوى وحالم فى وقت واحد.. وعرفت
أن هذا المطرب السورى الذى صار نجما فى أسبوع موجود بالقاهرة منذ ٣
سنوات شرب فيها الكوتة.. لكنه كعادة معظم السوريين لا يشكو، يعمل فقط
حتى يصل إلى ما يريد.

وتابعت الرجل خمس سنوات كاملة دون أن أعرفه بشكل مباشر.. حتى
فاجأنى الموسيقار الشاب ممدوح صلاح بأنه وجد تيمة جميلة صنع منها
موسيقى لحن صعب يصلح لمجد القاسم.. وطلب منى أن أكتب كلاما على
اللحن وحصل أن كتبت المذهب والكوبليه الأول ومضيت إلى حال سبيلى..
ولم أتوقع أن يكون اللحن من نصيب مجد، حتى فوجئت باتصال منه وأنا فى
جريدة «الجيل» بنقل العدد، يطلب حضورى للاستديو فوراً لأنهم عايزين
الكوبليه الثانى، لم يكن الأمر صعباً لكنه كان مفاجئاً.

فى الطريق من وسط البلد وحتى استديو نصر محروس فى مدينة نصر كنت
قد كتبت الكوبليه:

أنا إيه طول ما أنت عنى بعيد

أنا مين يفهمنى غيرك..

لو أعيش عمري اللى باقى وحيد

أنا أموت ولا أحب غيرك.. إلخ.

وهناك وجدت ثلاثة أشقاء لا يمكنك إلا أن تباد لهم محبة ربانية.. مجد، فضل، محجوب، وانتهى التسجيل ومضيت لحال سبيل، ولم أسأل متى ستنزل الغنوة للسوق.. ومرت شهور حتى فوجئت بمجد يطلبنى للذهاب إليه.. ويخرج ظرفاً به - أجرى - ويطلب التنازل المعتاد فى الشهر العقارى.. فأخبرته أننى أعلم أنه لم ينته من ألبومه بعد.. ليه الاستعجال.. فضحك وقال «عرفت إنك مسافر تخطب.. المفروض نروح الصعيد نعملك الفرع.. وعشان أنت ما عزمتناش على الأقل تاخذ أجرك اللى كان لازم تاخده من فترة».

المهم طلبت الاسم بالكامل من مجد حتى أسجل له التنازل، وفوجئت به يقول معضاض مؤيد أحمد القاسم، وكدت أضحك لكن محجوب شقيقه سببنى وحكى لى الحكاية.

هم أحد عشر أخاً وأختاً لأب وأم من أبسط عائلات محافظة السويداء فى سوريا، أسرة بسيطة تحب العمل والموسيقى، أخوه الأكبر فيصل أصبح مديعاً شهيراً فى قناة الجزيرة، تسبب فى مشاكل جمة لمجد بعد ذلك، وسعود عازف عود ماهر وصاحب صوت جميل وكذلك محجوب.

المهم وجدت نفسى بين ناس كائننى أعرفهم من سنين طويلة.. يعشقون كل شىء مصرى.. من أول الطعمية السخنة لحد الفطير المشلتت - طلب فضل الوحيد من الصعيد - وعرفت أن «الحماصنة» فى سوريا مثل أهل الصعيد حتى فى النكت، وعرفت أيضاً أنهم هم أنفسهم من يطلقون هذه النكات.

جاء مجد إلى القاهرة بناء على نصيحة الموسيقار سيد مكاوى الذى كان قد سمعه فى بيت المطرب الشهير فهد بلان، جاء ليدرس الموسيقى فى معهد

رمسيس ويبحث عن «الضوء».. جاء وحيداً إلا من دعوات أهله ومائة دولار وشنطة هدم.. وفي المطار تم توقيفه لأن الدولارات طلعت مزورة.. وشاف يوم أسود كان كفيلاً بأن يعيده إلى بلاده.. وبمجرد خروجه من المطار بعد ثبوت عدم علمه بتزوير النقود اتصل بشقيقه فيصل الذى كان يعيش ويعمل فى لندن.. وحتى وصول «الحوالة» - بعد أسبوع - ظل مجد فى لوكاندة بسيطة يخشى ألا تصل حوالة أخيه.. وطوال عام كامل راح يبحث عن فرصة.. يغنى فى الحفلات الخاصة ليعيش ويدرس.. حتى جاءت الفرصة من حفل ذهب إليه مجاملة لتحية النجمة ماجدة الصباحى، هناك استمعت إليه ابنة عاطف منتصر صاحب «صوت الحب» وأعجبها صوته وأعطته موعداً فى الشركة التى أنتجت له كوكتيل خليجى لم يسمع به أحد.. ثم ألبوم «ما بيدى» ولم ينتج أيضاً.. كان الأمر كفيلاً بأن يأخذ الرجل شنطة هدمه ويرحل.. لكنه فوجئ بمجىء شقيقه محبوب وفضل وقرر ثلاثتهم الاستمرار، حتى جاءت «بأمر الهوى» ليصبح مجد نجماً.

بعد ٣ سنوات من هذا النجاح الذى تأكد بألبومين بعدها قدم خلاهما ألوانا متعددة تثبت جدارته وقدراته كمطرب وملحن موهوب قرر الزواج.. إلا أن الظروف أبت إلا أن تصدمه فاحترقت شقيقته بالكامل ببأس كهربائى.. ومجدداً صمد أمام محتته وأكمل سكنه وكأن شيئاً لم يكن.. ثم كان أن دفعت السياسة شقيقه فيصل وبرنامجه «الاتجاه المعاكس» لأن يتسبب فى حرمان مجد من دخول عدد كبير من البلدان العربية التى هاجمها أخوه فى برنامجه.. ووصل الأمر إلى منع مجد من دخول تلك البلاد.. ثم منعت مصر أيضاً أغنياته.. وعبثاً حاول إقناع الجميع بأنه لا يؤيد شقيقه فى آرائه السياسية.. وأن لكل منهما ذمته المالية وأفكاره.. وأنه مطرب وملحن لم يعرف يوماً سوى «رنة العود».. وتحمل مجد عملية منعه حتى نجح مجدداً فى إزالة سوء الفهم.. ونجح محبوب فى أن يعمل ويصدر ألبوماً أيضاً وأصبح فضل أول مدير لأول محطة سورية غنائية تصدر من القاهرة.. وأظن أنه افتتح شركة إنتاج بعدها.

هذه العائلة السورية المحترمة.. مجرد نموذج لهذا الشعب الذي يصبر على
«غصة» الزمن.. ويتفادها ويغلب جروحه بالفن والحب والعمل.. «صديقي
معضاض».. لا تحزن.. قريباً ستعود إلى سوريا.
وستعود سوريا إلينا.. صدقني.

محمد محيى.. المظلوم

أصابنى بليغ حمدى بهوس منذ فترة مبكرة.. لم أكن أعى ذلك.. لكننى ظبطت نفسى متلبسًا بحفظ كل ما تقع عليه أذنى من ألحانه.. والأغرب أننى أيضًا تنبّهت مبكرًا لرائحتها.. وإذا ما شممت أى «شبه» فى أغنية للمحن آخر تكون قد مرت من جوار بيت بليغ أجدنى متلبسًا بمحبتها أيضًا.

ورحت أفتش عن كل شيء يخص بليغ.. كلمات أغانيه التى كان يكتب بعضها.. وسيرته الشخصية أيضًا.. وعرفت أنه أصلًا من سوهاج.. من إخميم بالتحديد.. وأنه ولد وعاش فى شبرا... وكذلك محمد محيى.

هتستغرب إيه الى جاب محمد محيى لحد بليغ حمدى.. والإجابة: نفس الى جابنى عند محمد محيى؟!

كنت قد تعرفت على عصام كاريكا فى وقت مبكر جدًا.. وعرفت أنه من مصر القديمة.. شاب مصر اوى جدع.. يعرف الكُفت.. ويحب كل حاجة.. من أول الكورة لحد بليغ حمدى.. ويعمل أى حاجة لها علاقة بالموسيقى.. وقتها كان على ما أعتقد لا يزال يعمل مديرًا لفرقة حكيم الذى كان قد أصدر لحناً نجح بشكل مبهر لعصام أظنه «بنى وبينك خطوة ونص».. المهم إنى فى يوم صيفى من أيام عام ٩٣ وكنت مستنى العربية الميكرو باص الى هتوصلنى من جرجا إلى بلدتى العسيرات لحد ما تكمل تحميل الركاب، وجدت أن طوفانًا فى موقف العربيات اسمه «هعاتبك على إيه.. ولا إيه».. وشممت رائحة بليغ حمدى فى اللحن.. أظن أن هناك تشابها ذكيًا مع «ميتا أشوفك»..

ومقطع «ليل يابو الليالى»، وسألت الركاب عن المطرب فأخبرونى أنه محمد محيى.. وزاد بعضهم وأخبرنى أنه صاحب ألبومين قبل هذا الألبوم.. واكتشفت إنى جاهل بأهل «الكار».. رغم أننى كنت قد عملت فى «المجال» فعلاً.

وبمجرد عودتى من الصعيد اتصلت بكارىكا.. وكنا قد تعارفنا لكننا لم نعمل معاً.. واكتفى هو بصعيدى واحد.. شاعر بلدياتى جميل اسمه سمير زكى - لا أعرف أين هو الآن -.. وباركت له على أغنية محيى وطلبت منه مقابلته.. وكانت المفاجأة الأولى أنه بلدياتى من نفس «المركز».. المنشأة.. وأنه «بليغى» زى حالاتى.. والأهم أنه تتلمذ وأحب واتعذب «واتعود» على صوت على الحجار ومحمد منير.

وجدت نفسى فى بيت كأنى أعرفه من زمن.. والد محيى - بلدياتى - رجل طيب جداً - رحمه الله - كان يعمل فى السكة الحديد.. غادر المنشأة منذ سنوات لكنه لم يقطع رحمه.. ومثل كل أقرانه من أبناء الطبقة الوسطى الذين سكنوا فى شبرا لم يكن عنده مانع، وهو الرجل الذى يحفظ القرآن، من أن يلتحق ابنه «محيى» بمدرسة الراهبات - تعلم منها الترانيم - فى الوقت نفسه أسند مهمة تحفيظه القرآن لأحد أصدقائه من الشيوخ.

كان الرجل وزوجته يسمعان الراديو جيداً.. ولهما ذوق خاص جداً فى الموسيقى.. ربما لهذا السبب لم يجد «محمد» أى صعوبة فى التعامل مع المدارس القديمة فى الغناء من أول داود حسنى وعلى محمود وسلامة حجازى مروراً بسيد درويش وكامل الخلعى وعبدالوهاب وحتى الموجى والطويل وبليغ.. وقبلهم طبعاً محمد فوزى.

لم أذهب إلى محيى فى بيته فى شبرا.. فقد انتقل إلى شقة لطيفة وبسيطة فى شارع عباس العقاد.. وانتقلت أسرته البسيطة لتعيش معه.. هو شخص بار جداً بأسرته ولا يستطيع الابتعاد عن أفرادها ولو ليوم واحد.. خصوصاً شقيقته الدكتورورة منى.

ولم أكتشف كل أسرار ذلك «الشبراوى» من أول مرة.. لكننا - حتى وإن لم نلتق - كنا نتهاتف.. ووجدت فيه ميزة لم أجدتها إلا عند المطربين الكبار.. هو لا يخجل من عمل قدمه على الإطلاق.. وعنده قدرة عالية جداً على الاستماع للآخرين، قليل الكلام إلا إذا سألته.. كما أنه شخص عنيد ومغامر، ويعتقد أنه سيصل لما يريد بهما كان الثمن ومهما طال انتظاره، ولهذا يظن البعض أنه كسول.. محبى لم يصدر أى عمل فنى منذ ٩ سنوات كاملة.

تعودت أن أستمع إليه.. وإلى تجاربه التى يعدها لنفسه وعلى حسابه حتى يقرر اسم الشركة التى «سينزل» معها.. سمعته عام ٢٠٠٠ تقريباً وهو يعيد توزيع أغنية الكبيرة وردة «اسمعونى».. وأعتقد أن التوزيع كان لمحمد عرام.. وسمعت فى نفس الوقت «يالأسمرانى» رائعة فائزة ومحمد الموجى.. وقتها لم يكن أحد قد فكر فى إعادة توزيع الأغنيات القديمة لكبار الملحنين باستثناء الحجار ومنير.. وبالمناسبة محبى يعشق لحن «عود» لأحمد الحجار.. ويغنيه كثيراً فى جلساته الخاصة كما يغنى من الفولكلور المصرى كما لو كان «ماسيرو» مكتشف الفولكلور!! وربما لهذا استدعى الشكل البدوى فى «لالى» والصعيدى من حفنى أحمد حسن فى «مظلوم» وغيرهما.

حدث وأن اختفى محمد محبى منذ عام ١٩٩٧ حتى ظن البعض أنه قرر الاعتزال.. ولأن محبى رجل غير اجتماعى بالمرّة.. هو يعيش مع أصدقاء شبرا.. ويذهب إلى جنوب سيناء باستمرار.. لكنه لا يظهر فى حفلات اجتماعية إلا نادراً.. كما أنه يعتقد أنه مطرب لا يصلح لغناء الأفراح - مساحة شجن غير عادية فى صوت محبى - ولذلك لم يقبل لسنوات أن يضعه المتعهدون على أجنداتهم.

المهم وقتها.. انصرف المنتجون عن الرجل، ورغم أنه كان قد سجل ١٤ أغنية على حسابه بالفعل إلا أنه كان يخجل من مجرد عرض ما لديه على منتجين هو يعرف أنهم يعرفون قيمته جيداً.. لكنه محبى الخجول رغم جرأته الشديدة

فى اختيار أغنياته من أول دويتو شارك فيه أحمد الجبالى وحتى «شارع الهوى»
التى أحدثت صدمة فى الشارع الغنائى لحظة نزولها.

المهم سألته بعفوية عن المنتج.. ومتى سينزل بالألبوم، وفاجأنى أنه ماعندوش
منتج!! فعرضت عليه أن أتحدث مع أحدهم.. وفوجئت أنه لا يغالى فى طلباته
على الإطلاق.. وأنه لا يمانع فى ذلك بشرط وحيد هو عدم إهائته.. ورغم فرح
المنتج الذى حدثته.. إلا أن حدثًا جرى فى نفس اليوم غير مسار الألبوم.. حيث
التقى صدفة بنصر محروس الذى سألته «يا عم مش هتشتغل مع بعض».. وكان
أن صدر «صورة ودمعة» لينجح بشكل مبهر كعادة ألبومات محبى.

تسع سنوات كاملة.. اختفى فيها صديقى الذى سميت «شبرو» وهى الاسم
القديم لشبرا ومعناها العزبة أو البستان.. لأننى أظن أنه يملك الكثير سواء
كملحن أو كمطرب مميز فى «بستان الموسيقى المصرية».. تعرض لظروف أسرية
مؤلمة ولقصص إنسانية أخذت من وقته الكثير.. وأجهد نفسه وهو يحاول أن
يتوافق مع مزاج المصريين الذى تغير مائة مرة فى السنوات الست الأخيرة عقب
ما عرف بالربيع العربى.. وفى النهاية هو يعمل.. ويستعد للعودة بعد غياب
طويل.. وأعتقد أنه سينجح مثل كل مرة.. فقد نسيت أن أقول لكم أنه يشبه
بليغ أيضًا فى شيء آخر وهو «القصر».. لكنه ليس مكبرًا.. بل دعا له والداه بأن
يلازمه النجاح أينما حل.

مجدى العمروسي.. الصندوق الأبيض

شيء ما كان يدفعنى لعدم الاقتراب من ذلك المغنى الكبير الذى طبقت شهرته الآفاق، ولم أتعاطف أبدًا مع قصة مرضه وكنت أحسبها من دواعى الشهرة وأدواتها التى يستخدمها أهل الفن لجذب الأضواء إليهم.. لكننى فى الوقت نفسه لم أكن أستطيع أن أتجاهل أغنياته الوطنية المدهشة لثورة يوليو ورحلتها، رغم أننى أحيانًا كنت أعتقد أن البطل فيها صلاح جاهين وكمال الطويل، وأرى أن حلیم لم يكن أكثر من مجرد برواز وفاترينة.. بل زاد الطين بلة أننى اعتبرته رجل السلطة الذى لم يستطع الدفاع عن شاعره، حينما اعتقله نظام عبدالناصر، واكتفى بأن يرسل له السجائر المارلبورو.. ظل هذا الأمر يحيرنى سنوات قبل أن أدرس الموسيقى، وأعرف بعض أسرارها، وأكتشف ذلك الكنز الكبير الذى أضافه الرجل لمسيرة الغناء فى بلادنا.. وفى كل كلمة كنت أقرأها عنه أو حكاية أسمعها.. كنت أجد ذلك الرجل الخفى الى اسمه مجدى العمروسي.

ذلك المحامى السكندرى الذى ترك مهنة المحاماة، ليصبح رفيق رحلة العندليب ورأسه الذى يفكر.. وذراعه التى تسنده وعقله الذى يدير.. وكان من الطبيعى، وأنا أعمل محررًا لشئون الموسيقى أن يجتمعنى به لقاء أو أكثر.. لكننى لم أتخيل أبدًا أنه سيكون أخًا وصديقًا لى ولو لمدة يوم واحد.

كان مقر شركة «صوت الفن» لأصحابها عبدالوهاب وعبدالحليم ووحيد فريد فى شارع عدلى بوسط البلد، مش مجرد مكان للتجارة..

كان أشبه بالثكنة العسكرية.. يعنى ما ينفعش تروح وتطلب تشوف حد كده.. لازم ميعاد مسبق.. ومش ممكن تتأخر عن الميعاد ده دقيقة واحدة.. ولو حكمت الظروف ورحت هتشوف العجب.. تقريباً كل الأسماء الكبيرة فى عالم الموسيقى.. يعنى ممكن وأنت خارج من الأسانسير الحديدى العتيق تلاقى نفسك وش كده مع عمنا محمد الموجى، وهو خارج زعلان عشان العمروسى مرضيش يزود أجره.. أو أن الست نجاة موجودة جوه.. فمفيش حد يقدر يعدى قدام الطريقة.. أو أن الأبندى قلبها مسخرة فى أوضة عم ممدوح المدير الإداري!! أو أن المخرج الكبير حسين كمال مش عارف بيعمل إيه.. لم تكن مجرد شركة، بل عالم موسيقى كامل إن دخلت إليه فقدت نصف عقلك.. ولن تسترده بسهولة.

فى تلك الفترة أصدر مجدى العمروسى كتاباً عن عبدالحليم أسماه «أعز الناس».. ونفدت طبعته الأولى.. وكتبت عن «الكتاب» وعن الرجل الذى كتبه.. وفوجئت فى الطبعة الثانية بمقالى مضافاً إلى الكتاب وبرسالة رقيقة من الرجل.. وطلعت فى دماغى أعمل الكتاب مسلسلاً للإذاعة.. وذهبت لأحصل على موافقة العمروسى «كتابة».. ولم يستغرق الأمر دقائق.. وهذا الأمر زاد من حيرتي.. المهم كتبت حلقتين وسلمتهما للمخرج ثروت رضوان - أو لنجوى أبو النجاء - باسم «عصفور الشتا» واتصلت بعم مجدى لأخبره أننى أريد أن أسمع صوته جديداً.. وحدد لى الموعد.. وبمجرد أن انتهى من سماعه، وكان معى الموسيقار فاروق الشرنوبى.. أرسل فى طلب نسخة من عقد أصالة.

كانت قد وقعت مع الشركة ألبومها الأول - وأخبرنى أنه سيتعاقد مع أسامة الشريف بنفس الشروط.. وسألنا ماذا تريدون غير ذلك؟.. وكان الرد «الاستديو وفرقة أمير عبدالمجيد».. وكان أن سجلنا أغنيات ألبوم «مجنون بعشقتك».. وفوجئت أن الرجل لم ييخل أبداً فى أى شيء طلبناه.. بل العكس.. حينما قررنا أن يشارك أسامة فى حفل أضواء المدينة.. أرسل السائق الخاص به ليكون تحت أمره.. وأرسل من منزله طعاماً مسلوفاً.. وصحياً حتى لا يأكل

مطربه ما يتعب صوته.. وأرسل صورًا ومادة صحفية لكل الصحف.. وحدد مواعيد مع مخرجين كبار لاستضافته في برامج.. والأهم.. أنه لم يكن يغيب لحظة واحدة ليسأل عن «البرد».. و«الكحة».. والسهر.

وقتها عرفت لماذا نجح عبدالحليم.. هذا الرجل البدين - كان يمشى على عكاز في أيامه الأخيرة.. الذى يذهب للمستشفى ومنها إلى المكتب، ثم إلى الاستديو.. هو «كلمة السر» التى صنعت ذلك المجد الذى لازم عبدالحليم ولا يزال.

المهم أننى كنت قد كتبت أغنيتين فى ألبوم أسامة، وبما أننى كنت قد قدمته للرجل، فلم أنتظر أن أحصل على أجر.. وكنت أعتبر مجرد مشاركة الأبنودى فى الألبوم مكسبًا ندفع نحن فيه فلوس.. ولأننى تعرضت لفترة سجن استمرت ٨ شهور.. لم أكن أتوقع أن يسأل العمروسى عني.. لكنه عرف من الأبنودى ذلك.. وحينما أرسلت الزميل خالد حنفى - رئيس تحرير مجلة الإذاعة حاليًا - إليه أطلب مجموعة من الشرائط.. فوجئ خالد بأن الرجل يخبره بأن الشركة مديونة لي.. وأنه يحتاج إلى توكيل منى له ليصرف له أجري.. وفوجئ خالد بالرجل يمنحه أجرى وكرتونة شرائط ويخبره بأنه تحت أمره فى أى وقت «لو عُرِز» أو هو أحتاج إلى أى شيء.. وأن محاميه الشخصى جاهز فى أى وقت.

وحينما سمحت ظروفى بأن أذهب إليه بعدها لأشكره.. فوجئت به يقول لي: «أنا أول مرة شفتك أنت وأسامة داخلين عليّ.. افكرت حليم وعبدالرحيم منصور».

وتعب العمروسى.. واختلف شركاء «صوت الفن»، ودخل الورثة فى نزاعات قضائية.. وفرضت الحراسة عليها.. لكنه ظل حتى آخر يوم.. وفى كل عيد ميلاد.. أو وفاة للعندليب.. يحتفى بذلك لدرجة أنك كنت تشعر أن العندليب موجود بيننا.. أخبار جديدة.. وذكريات تنشر لأول مرة.. وأسرار لا يعرفها أحد.. يمكنك مثلًا أن تتذكر واقعة مفيد فوزى وزوبعته الخاصة

بزواج العندليب من سعاد حسني.. وفي كل مرة يخرج من صندوق العمروسي الأبيض ما لا تستطيع الصحافة والتلفزيون أن تتجاهله.

فجأة غاب العمروسي.. فغاب عبد الحليم.. ولم نعد نحتفل بذكراه كما كان يحدث.. وأغلقت «صوت الفن» وحاول محسن جابر إنقاذ ما تبقى بشراء «حصة أصحابها».. لكن شيئاً كان قد انطفأ.. ولم يعد المبنى المواجه لسنترال عدلى يصدر أنغاماً.. ارتفع ضجيج السيارات القادمة من القبة حتى لم يعد ينافس سوى صوت الأسانسير الحديدي.. غاب العمروسي.. لكن صندوقه الأبيض ما زال يحتفظ بالكثير.. لكننى لا أعرف قطعاً أن ترك العمروسي مفتاحه!

هدى عمار.. سبحة الترانيم

ليس عندى متعة فى الدنيا تعادل متعة القراءة إلا حضور اللحظات الأولى فى صناعة أى لحن جديد فى الاستوديو: وعشان كده صعب جدا إننى ما أكونش موجود لحظة تسجيل أى أغنية جديدة ليا.

ومن المرات القليلة جدًا الى ما قعدتش فيها مع الملحن وهو بيشتغل فى كلام غنوة تخصنى كان مع المطرب الملحن الجميل طارق فؤاد.. والموضوع جه كده.. ماكانش رغبة منه ولا رغبة منى.

كان النجم طارق الدسوقي قد قرر مشاركة السيناريست مصطفى إبراهيم فى إنتاج مسلسل اسمه «الفسطاط» أخرجه وفيق وجدى.. وأبلغنى الدسوقي برغبته فى أن أكتب أشعار المسلسل.. المهم ربنا كرم وانتهيت من الكتابة قبل أسبوع واحد من مغادرتى القاهرة إلى الصعيد لحفل زفافى..

خدت بعضى ومشيت بعد ما خدت من طارق «عربون» اعتبره هدية زواجى.. وعرفت إن الكلام راح لطارق فؤاد وقد كان متألقا سنتها مع إبراهيم عبدالفتاح فى تتر مسلسل «الجلبل» على ما أعتقد..

اتجوزت ورجعت وعرفت إن الألحان تم تسجيلها ومش فاضل غير إن «هدى عمار» تيجى «تركب صوتها».. وتحدد ذلك فى استوديو كان يملكه مدحت صالح بجوار أكاديمية الفنون بالهرم..

كنت قد كتبت البداية والنهاية.. و١٤ أغنية داخلية هى عبارة عن أحلام

تعيشها البطلة «نرمين الفقى» فى خيالها.. والمفروض أن تكون هدى هى لسان حالها..

وأنا فى الطريق للاستوديو.. خشيت أن يكون كلامى الذى كتبتة أقل من هذه الحنجرة الفريدة.. هدى عمار صوت غريب ونادر.. قدمها عمار الشريعى فى مجموعة أغنيات ومنحها اسمه لقبًا لها.. لكنها قليلة العمل والتواجد.. تظهر مرة فى العام ثم تختفى بلا أسباب واضحة.. وكنت قد افتتنت بطريقة غنائها لنهاية فيلم «كتيبة الإعدام» التى كتبها عمنا «سيد حجاب» - «حييتى من ضفايرها طل القمر.. ومن بين شفايفها ندى الورد بان»!

جانى هائف إن الكلام الفارغ الى كتبتة ونسيته فى دوشة الجواز والسفر مش هيليق على صوتها.. وفكرت أن أعود من حيث أتيت.. لكن حفاوة خالد صالح شقيق مدحت وصديقى أنستنى ما أفكر فيه مؤقتًا..

كنت قد تعودت أن المطربين - النساء منهم تحديدًا - مش متعودين يحفظوا الكلام.. يعجبهم اللحن.. وبعدين فى الاستوديو يقعدوا يحاولوا يحفظوا أى كلام.. وممكن ما يحاولوش يفهموه أساسا.. ونادرا ما كان هناك مطرب يهتم بكلمات الأغنية قبل تلحينها.. باستثناء حالات معدودة مع الحجار مثلا، فهو مطرب لا بد وأنه يحب ما سيغنيه أولا، وممكن كلمة تقف فى زوره فما يغنيش حتى لو اللحن حلو..

دخلت الاستوديو وأنا فى حالة لا تفسير لها سوى أنى مش على بعضى.. فالمطربة هدى عمار لم نكن قد تعاونا من قبل.. ولم أكن التقيتها سوى فى سهرة عابرة بمنزل فاروق الشرنوبى وما اتكلمناش أصلا.. يعنى فكرتى عنها رغم عشقى لصوتها مبهمة تقريبا..

سمعت أغنية المقدمة والنهاية.. وجلست أنتظر حضورها.. وبمجرد أن دخلت فوجئت بطفلة فى مدرسة ابتدائى.. جاية مذاكرة كل الكلام.. وعارفة المسلسل بيتكلم عن إيه.. وكل حلم إيه حكايته.. مش كده وبس

لأ.. ودورت على باقى شغلى.. واندھشت إنها سألت عن تليفونى لتسألنى فى بعض التعبيرات التى توقفت أمامها، لكنها لم تستطع الوصول لى بسبب سفرى واستعانت بطارق فؤاد:

«أنا ما كنتش هنا..

ولا انت كنت هناك

وتنها من بعضنا..

ومن يومها بستناك»..

غنتها هدى كما كنت أحلم وبشكل أفضل مما كنت أنتظر ثم خرجت من الاستوديو لتسألنى «مين اللى يتشعلق فى مين.. الشط ولا الغرقانين».. ودى جبتها مين دى؟!!

وانتهى التسجيل وظلت هذه الأغنيات القصيرة متعنى لفترة طويلة حتى بعد عرض المسلسل.. وظللت أستغرب كيف لمطربة مثلها لا تكون فى مقدمة صفوف مطرباتنا ولماذا تغيب كل هذه الفترات؟!!

هى ابنة معهد «الكونسرفتوار» مثلها مثل أنغام.. لكنها درست آلة فرعونية نادرًا ما يهتم الموهوبون بها وهى آلة «الهارب» - شىء غريب يمكنك أن تلاحظه فى صوت هدى فهو أقرب لـ «الهارب» فعلا.. هى ابنة القاهرة الكبرى.. بنت مدينة الجيزة بالتحديد.. مواليد السبعينيات من القرن الماضى.. وعرفها عمار الشريعى عن طريق مسابقة كان قد أقامها لاختيار فريق جديد يعيد به أجماد فرقة «الأصدقاء» التى تفرق أعضاؤها.. علاء عبدالحالق ومنى عبدالغنى وحنان، لأسباب مختلفة.. ويوم المسابقة جاءت متأخرة وكادوا يرفضون دخولها.. ورغم أنها كانت آخر الحضور إلا أنها كانت الوحيدة التى اختارها الشريعى وتبناها وقدمها لمحسن جابر لينتج لها أول ألبوماتها..

صوت هدى الدرامى جدا والحالم جدا جعلها من المطربات القلائل

القادرات على الغناء في السينما والمسرح.. ورغم مشاركتها في غناء تترات «هوانم جاردن سيتي» و«ريش نعام» و«الفسطاط».. وفيلم يوسف شاهين الشهير «إسكندرية- نيويورك» إلا أن مشاركتها تظل محدودة جدًا.. وكان من المفترض أن تشارك في عمل مسرحي للأطفال تعود به من جديد إلى الساحة، لكن هذا لم يحدث والأسباب غير معروفة كما هو معتاد.

هدى عمار التي عرفت شخصيتها ودودة جدًا.. ومثقفة جدًا.. ولم أشعر أنها مغرورة أو «منفسنة» مثل معظم مطربات هذه الأيام.. لكن يبدو أنها لا تجيد صنع علاقات عامة مثل أخريات.. هي لا تتحدث على الإطلاق عن حياتها الشخصية حتى إنك لا تعرف إذا كانت قد تزوجت أم لا.. ولا تعرف - كما يحدث دائمًا - هي بتصيف فين أو بتشتى فين.. ومتخافقة مع مين ومتصالحة مع مين. لقد حبست كل ما هو شخصي عن الناس واختفت وكأنها لا تريد من هذا العالم شيئًا..

آخر ما أعرفه عنها.. إنها لا تتوقف عن البحث عن أغنية جديدة.. ربما تمنحها فرصة العودة بالطريقة التي تريدها لنفسها.. لكنها وللأسف تنتظر من يفعل ذلك بدلا منها.. ما زالت في نفس حجرتها الصغيرة.. في منزلها الصغير تغنى أغنياتها الأولى «قلبي الصغير» في انتظار ما لا يجيء.. لكن هذا المنتظر لن يفعلها - من وجهة نظري - إلا إذا خرجت من عزلتها الإرادية واستخرجت عنادها الذي أعرفه وواجهت ذلك القبح الذي حاصرها وحاصرنا من كل النواحي.. هدى عمار نحن في انتظار «صوتك».. لأننا لا نملك رفاهية أن نخفى «سبحة الترانيم» لوقت أطول.

ياسر عبدالرحمن.. الإمبراطور

من ٢٥ سنة بالتمام والكمال.. كان ممدوح الليثى السيناريست المعروف أهم رجل في ماسيرو بعد صفوت الشريف.. ليس لأنه مؤلف مشهور.. ولا لكونه رئيس قطاع الإنتاج.. ولكن لأنه لم يكن يستطيع أحد أن ينفذ إلى شاشة التلفزيون «العربى» إلا من خلاله.. كان رجلاً محترفاً يعرف من أين تؤكل الكتف.. يعرف كيف يعمل كل من هم تحت إدارته بالطريقة المثلى التى تجعل من تلك الشاشة الأهم والأعمق والأكبر فى الوطن العربى.

طب مين يقدر يخلى راجل بالقوة دى والنفوذ ده يسبب مكتبه الفخم فى ماسيرو.. ويأخذ بعضه ويروح لحد ستوديو «رباعيات» بتاع محمود ياسين اللى فى شارع علوية فى الهرم.. وبعد نص الليل؟! أكيد حد مهم.. وله جبروت وسطوة أكبر من سطوة ممدوح الليثى.. مين ده؟ أقول لكم: هو ياسر عبدالرحمن.

يومها كان ٢٨ شعبان.. يعنى اللى صباح آخر يوم قبل رمضان.. وده الموسم بتاع الدراما.. بتاع كل حاجة فى التلفزيون.. وممدوح الليثى عايز التتر بتاع مسلسل «المال والبنون».. وكل ما يطلبه ولمدة أسبوع كامل ما حدش عارف يرد عليه.. وفى الآخر عرف إن ياسر عبدالرحمن مش عايز يسلم الشرط غير لما يكون راضياً تماماً عن المزيكا اللى عاملها.. وده اللى خلى الراجل راح بنفسه لحد الاستوديو.

يومها كنت حاجز الاستوديو.. وميعادنا جه.. بس المهندس اللى فى الاستوديو اعتذر لينا بأن ياسر لسه مخلصش.. وحسيت إن الدنيا مربوكة.. وإن فيه مشكلة كبيرة.. مش عشان وجود ممدوح الليثى.. الاستوديو كله كان مليان

فنانين -وده طبعى- المهم عرفت أتسحب ودخلت الروم كنترول لأشاهد ما لم أشاهده من قبل . عمنا ياسر طافى النور على لاعبى الكمان -الكمنجات يعنى- وواقف قدامهم فى الضلمة.. وبيشد الوتر بطريقة معينة عايزهم يعملوها، وهما مش عارفين مع إنهم أكبر ناس بيعزفوا الآلة ديه مش فى مصر بس.. لأ.. يمكن فى الشرق الأوسط كله..

المهم الكل حبس أنفأسه.. وبدأ ياسر العزف.. وخرج «صوت الكمان» اللى انتوا سمعته فى المسلسل.. زى ما خياله كان عايزه بالضبط.. وخرج ليسمع ما فعل، ودخل الروم كونترول ليجد الليشى وقد فتح ذراعيه ليأخذه بالأحضان قبل أن ياخذ الشريط!!

منذ تلك اللحظة أدركت أننى أمام موسيقى غير تقليدى بالمرة.. كان قد بدأ حياته عازفاً للكمان.. على ما أعتقد فى فرقة عمر خيرت.. ثم قرر الاتجاه للتوزيع الموسيقى والكتابة الموسيقية الخالصة.. وبدأ بأعمال مبهرة سواء فى «أنا كنت عيدك..» أو فى ألحان وضعها لعمر ودياب «رجعت من السفر».. أو محمد فؤاد «على عيني».. قبل أن تنفجر ألحانه فى عالم الدراما.. «الوسية».. وأعتقد «المال والبنون- الليل وآخره- الضوء الشارد-الفرار من الحب» وأفلام: «الباشا والإمبراطور- ليلة البيبى دول»، وغيرها.

واقتربت من ياسر الذى يتهمه الجميع بأن «سعره غالى»، وبأنه «عنيد»، و«راسه ناشفة».. لأكتشف أننى أمام إنسان أدمن الكمنجة التى يعزفها.

كان ياسر يسكن فى شقة قديمة بميدان الباشا فى المنيل.. وكان قد تزوج من المطربة حنان ماضى وضع لها لونا من الصعب أن يتكرر.. تعامل ياسر مع صوت حنان ماضى باعتباره «آلة».. تؤدى الأدوار التى يجيد توزيعها على آلاته سواء كانت بشرية.. أو خشبية.

لقد شاهدته مرة وهو يريد من عازفى الربابة والمزمار - وكلتاها - آلات حرة تعتمد على الارتجال، ولا توجد نوتة مكتوبة لهما، أن يعزفوا وكأنهم يقرأون

النوتة.. وهذا ما حدث.. وأعتقد أن رغبة ياسر في التعامل مع الآلات الشعبية والمزج بينها وبين البيانو.. أحياناً.. والأكورديون الإسكندراني في أحيان أخرى لا مثيل لها في أى عمل موسيقى بالعالم.

ياسر أيضاً صاحب مواسم، يعنى هو مثلاً جعل من الكمان بطلاً لعدد من الأعمال في إحدى السنوات.. ثم قرر بعد عامين أن يجعل من «الأكورديون» بطلاً.. ثم آلة أخرى.. وربما من يتابع أعماله مع الأوركسترا في الأوبرا - سواء كان متخصصاً أو رجلاً متزوقاً للموسيقى سيعرف ذلك.. المهم أنك أمام موسيقى من لحم ودم.

كان قد استعان بعلى الحجار ومحمد الحلو في عدد كبير من تترات المسلسلات.. وكذلك مع حنان ماضي.. وفجأة قرر أن يقدم لنا صوت شاب اسمه عاصم فوزى.. تذكروا مسلسل سوق العصر.. وكذلك فعل مع صوت محمد قنديل في «الأصدقاء»، وقد كان الرجل مجهداً بشكل يصعب على أى ملحن أن يستفيد منه، لكن ياسر عبدالرحمن فعلها.

أى عمل يقدمه ياسر لا يقدم فيه صوت المطرب الذى يغني، أو الآلات التى تعزف، لكنه يقدم سيرته الخاصة.. حاول أن تذكر تلك التوليفة التى صنعها في فيلم «حكايات الغريب» باستخدام عدد من الألمان القديمة والحديثة لمحمد منير «حلوة بلادى السمرا.. البحر بيضحك ليه» إلخ.. وشوف صوت منير وسط هذه الألمان.. ستجد ياسر عبدالرحمن.

هذا الشاب الأسمر الذى استغرقته هذه الآلة العجيبة عن الدنيا بحالها يعرف ماذا يفعل.. ويعرف قيمة ما يفعله، ولذلك هو يطلب أعلى أجر.. ويطلب إذا ما أردت منه أغنية أن يكون صاحب الألبوم كاملاً.

اتصل بى في إحدى المرات، وطلب أن أذهب لوحيد حامد وأناقشه في أمر «تيات صعيدية» لفيلم يعده عن «عبارة السلام».. وافقت طبعاً.. لكننى سألته طب وأنت بتتدخل من بدرى كده ليه؟! ولم يرد.. فعرفت أنه يريد أن يصنع

حتى خيال الموسيقى قبل أن يكتب المؤلف فيلمه..

في فيلم «عرق البلح» هناك أغنية معروفة جدا كتبها عبدالرحمن الأبندى اسمها «بيبره»، تغنيها عبلة كامل مع شريهان ومنال عفيفى وعدد من النساء.. وهى مأخوذة قطعاً من تيمة صعيدية، لا أشك فى أن ياسر سمعها من الأبندى أو غيره، لكن أنظر ماذا فعل بها، لقد صنع نسيجاً موسيقياً فريداً لا يمكن أن تقول عليه «صعيدى» أو «من لواحات»، لكنه من مساحة وجع فى أى حنة فى العالم.. وهو نفس ما كرره مع رقصة علا غانم «رسالومى» فى مشهد اغتصاب العراقيات فى «ليلة البيبى دول».. وبالمناسبة استخدم ياسر الآلات ومقامات عراقية مدهشة فى موسيقى الفيلم..

هذا الشاب الذى تستغرقه التفاصيل يحبس عمره وجسده داخل «البيانو».. ولا ينظر خلفه إلا ليتذكر أنه ابن عبدالرحمن فهمى الناقد الرياضى الشهير.. وأن من صفوا أعظم سيمفونيات العالم ليسوا أفضل منه.. هو فقط ينظر إلى الأمام.. إلى «بكره» وأتحدى ياسر نفسه إن كان قد ادخر مليها واحداً مما كسب طول عمره.. لكننى أعتقد أنه صنع من الموسيقى نهراً باسمه..

وأعتقد أننا سنحتاج إلى عدد كبير من السنوات لنستوعب موسيقى ذلك النهر.

عمر طاهر.. عرفوه بالحب

من يومه نجم.. الى يشوفه وما يعرفهوش يفتكر إنه مغرور أو مكبر دماغه، ومش فارق معاه لا حاجة ولا حد.. لكن مجرد إنه من سوهاج ده سبب كافى يخلىنى أستحمل الجليطة بتاعته ونبقى صحاب من أول سهرة.

عمر لم يكن من أصدقاء الطفولة رغم أننا بلديات.. ولم ندرس معا فى الثانوية.. ولم نتزاور فى قرانا رغم وجود علاقات قرابة ومصاهرة بين عائلتين. هو أحد أبناء عائلة «عبدالرحمن» الشهيرة بمركز طما وكان منها الوزير جلال أبوالدهب.. ومنها قائمة كبيرة من المشاهير.. والد عمر كان يعمل رئيسا لمجلس المدينة، ولذلك لم يعيش هو حياة الريف أبداً.

دخلت الجامعة فى سوهاج.. وذهب هو لكلية التجارة الخارجية بالقاهرة.. عشت فى أوضة صغيرة فى عرب محروس، وعاش هو فى أرض صغيرة بمدينة الطلبة بإمبابة.. وبدأنا العمل فى وقت واحد.. وكان أن التقينا فى جريدة الجيل مع جمال العاصي.. فى الوقت نفسه الذى تعرفنا فيه على الملحن الجميل ممدوح صلاح وجمعنا مكتبه الصغير فى أرض اللواء.

كانت سهرات مكتب ممدوح عامرة بالموسيقى والشعر والمرح أيضاً.. حمادة هلال.. سيد الشعراء.. شيرين عبدالوهاب - كانت طفلة فى وقتها - فوزى إبراهيم.. أحمد نجيب وأسامة الشريف.. ويا دوب نعدى المزلقان نلاقى قهاوى وكافيهات جامعة الدول الى جنب فرغلى بتاع العصير.. مصطفى

كامل وحسن دنيا وعصام كاريكا وأحمد مرزوق وعبدالمنعم طه ومحمد رحيم.
جيل كامل يبحث عن فرصة تحت الشمس.. أو تحت القمر.. وكان عمر
شاعرا يكتب العامية بطريقته.. لم يكن يفكر لا في السينما ولا في المسرح.. كتب
لمطرب لبناني لا أذكر اسمه صوته شبه وائل جيسار أولي أغنياته من ألحان ممدوح
صلاح.. لكن يبدو أن اللعبة لم تعجبه.. كان صديقه وصديقي عبدالرحيم كمال
- بلدياتنا برضه - يبحث هو الآخر عن فرصة وعن حلم صوفي يطارده.. كان
عبدالرحيم ينشد السينما.. ونادرا ما كنت تجدهما يفترقان.

أدت سخرية عمر من كل شيء.. وعلى عكس تجاربه الصحفية الجادة في
«نص الدنيا» فترة سناء البيسى التى منحتة وجيلاً كاملاً فرصة العمر، راح
يكتب أحلامه الطفولية بنفس الطريقة التى يكتب بها قصائده القصيرة.. وفي
سنوات قليلة استطاعت كتبه أن تجذب الآلاف من الأجيال الجديدة التى كانت
تسخر هى الأخرى من الواقع الذى تعيشه بنفس طريقة عمر طاهر.. الذى قرر
أن «شكلها باظت» فهرب من الشعر والغناء إلى عالم السينما ليحقق فيها نجاحاً
يستحقه.. «طير إنت.. كابتن مصر.. يوم مالوش لازمة» وغيرها وطار عمر..
لكن الغناء كان يشده من «قميصه» فيعود إليه على فترات.

كان رامى صبرى هو أول مطرب لامع يغنى لعمر في تجربته الأولى «حبيبي
الأولاني».. ثم فريق كاريوكي ومحمد عساف ومحمد محسن.. وأحمد عدوية..
لكن الطفل الذى يسكن بلدياتى لم يتركه فى حاله.. رغم أنه داعبه واحتواه فى
«سوبر هيندي».

عمر طاهر طفل كبير فقد شعره كاملاً.. واستغنى عنه بالكاب الشهير لكنه
لم يفقد شعره أبداً.. وأهم ما يميز أشعار عمر طاهر كثافة الفكرة وحدة الرؤية.
أذكر أننى فوجئت فى يوم بالزملاء فى جريدة «الجيل» حزانى، وكأنه مات
لهم حبيب.. وعرفت أن العمال ييشيلوا المكاتب من المقر الى وسط البلد
لحثة مش عارفينها ورئيس التحرير الى هو جمال العاصى اختفى!! والمرتبات

المتأخرة متصرفتش.. فقررت بتهور إبلاغ الشرطة ومنع العمال من نقل المكاتب حتى يظهر صاحب الجريدة ويدفع مرتبات الناس.. المهم وإحنا في القسم كان معايا تليفون كبير الحجم - الموبايل كان لسه جديد - وعمر كان معايا أحدث عدة.. وأنا قاعد قدام الضباط بنكتب المحضر مكانش فارق مع عمر حاجة غير إنه يشيل «عدة التليفون بتاعى الى شبه المسدسات القديمة.. ويخط عدة الشيك بتاعته»!

وبمجرد خروجنا من القسم حول عمر طاهر عدة تليفونى إلى أشهر موبايل فى مصر من كتر التنكيت عليه.

يعشق عمر طاهر الصحافة.. لكنه يمارسها بمنطق «طير إنت».. عمل خبطات كتير مهمة فى نص الدنيا.. ولما لم يعجبه الحال، تركها وحصل على إجازة.. لم تعد الصحافة بطريقتها الكلاسيكية مغرية بالنسبة له.. شخص غير ملول بدليل أنه ظل لسنوات يكتب عمودًا يوميًا.. فى صحف كثيرة كان بطلها الأول إبراهيم عيسى.. ورغم أن الكتابة للسينما تستغرق وقتًا طويلاً، إلا أنه «أحبها».

يمكنك أن تتهم أفلام عمر طاهر.. وكتبه «الأكثر مبيعاً» بأنها شبه «غزل البنات» حلوة بس بتدوب بسرعة.. لكنك إذا حاولت تقليده وكتابة هذا النوع لن تستطيع، لأنك لا تحبها، لا تحب من الأصل.

كتب عمر طاهر لأصالة أغنية روحانية «خليها على الله» بنفس طريقته البسيطة والمعتادة فى الحياة.. ويبدو أنه كان يتمرن، حتى تحين الفرصة ليكتب فكرته الأكبر، وهو ما حدث مع رفيق رحلته وصديق عمره عبدالرحيم كمال الذى أصبح نجماً فى عالم الكتابة للتلفزيون بعد الرحايا وشيخ العرب همام، وها هو يحصل على الختم بأنه الخليفة بعملين كبيرين دفعة واحدة هذا العام «وئوس.. ويونس ولد فضة».

اجتمع الصديقان فى يونس.. ومعها أحمد سعد الملحن والمطرب الفقى..

ليطلعوا علينا بواحدة من أجمل الأغنيات التي سمعتها في حياتي:

«لا ديا أرضي..

ولا دولا ناس..

والى يفوته..

أهله يقاسي..

لا عدت قادر..

ولا قلبى طابق..

كدابة صورتى..

جوه البطايق..



لا ليا حيلة.. ولا لينا خاطر

عند اللى غاوية.. كسر الخواطر

ارتاح فى غيرها.. لو كنت خالى

أو جيب آخرها.. لو كنت شاطر

أحبها عمر طاهر.. وما جابش آخرها..

وما حدش فينا نحن أبناء القرى البعيدة هيعرف يجيب آخرها فى يوم.. ليس

لأنها صعبة ولا مستحيلة.. ولكن لأننا نحبها.. ولا نحب سواها.

أذكر أننا كنا فى منتصف عام ٢٠٠١.. وكان عمر يشاركنا العمل فى تجربة

جريدة «صوت الأمة» مع عادل حمودة.. وأمام الفيلا التى كانت مقرًا لها -

الجريدة يعنى - وجدته يركن على سيارته وملامح وجهه حزينة على غير عادته..

استغربت.. وسألته إيه دى قصة حب جديدة.. ابتسم وأضاف «لا والله».. بس

قرفت من فكرة «أقساط العربية».. وفاجأته: «ولاد الناس يقسطوا عربيات
ليه.. إنت بس إدى تليفون للبلد والموضوع يخلص»!!

لم تكن لدى عمر أزمة مالية.. لكن ما كان يزعجه هو فكرة الالتزام الشهري
بقسط ما.. لشخص أو لمكان ما.. هو لا يحب «القيود».. لكن الحبيبة التي
ارتضينا قيودها حتى آخر نفس كيف نهرب من التزامها..

«لا البعد راحة..

ولا القرب راحة

والخيرة مرة

والقلب قايد»..

وسنظل كذلك حتى آخر نفس.

obeikandi.com

سيد حجاب..

أبونا الحلواني اسمه على بوابتها غزل

مش فاكراً أول مرة شفته فين، ولا فاكراً تحديداً أول غنوة سمعتها له، ولا أول قصيدة سمعته بيقولها، مش عشان الزهايمر، ولا عشان طول المسافة، لأ، يمكن عشان هو حاجات كتير جداً، مش هو اللي قال: «منين بييجي الشجن»؟! وهو برضه اللي قال: «من اختلاف الزمن».. سيد حجاب هو السؤال والإجابة، والزمن اختلف يا عم سيد، واختلافه مش اختلاف أئمة، ومش رحمة أبداً.

الشاعر الكبير مجدى نجيب

كل اللي فاكراه إن عمنا الشاعر الكبير مجدى نجيب هو أول من نصحنى بأن أقرأ ديوان «صياد وجنيه» لعمنا سيد!! طبعاً كنت عارف اسمه كويس، وسماع أغانيه «ياما زقزق القمرى على ورق الليمون.. وبافتح زرار قميصى، وهو الطريق هواه»، كنت عيل عندى ١٧ سنة بس كنت سامع له حاجات كتير، وعارف إنه شاعر كبير، بس ما كنتش عرفت إنه «الأسطى الحلوانى»!

خدت بنصيحة عمنا مجدى ورحت أدور على شغل سيد حجاب ومالقيتش غير بعض القصائد في مجلة كانت تصل إلينا في سوهاج بالضالين اسمها «إرضاء»، ووجدت أن أشعاره التي تنشر بها «صعبة»، وفيها هندسة غريبة، وبالصدفة وأنا أقلب في كتب قديمة بمكتبة «مجلس المدينة» في سوهاج وجدت أربع هدايا مرة واحدة.. صياد وجنيه لحجاب،

وصهد الشتا والحب في زمن الحرب لمجدى نجيب، والأرض والعيال
للأبنودي، وأكبر تار لمحسن الخياط.. استعرتهم من المكتبة ومارجعتهمش لحد
النهارده، أرجعهم إزاي وأنا اليوم الى لقيتهم فيه واحد من أجمل أيام عمري؟!
حفظت الدواوين الخمسة تقريبا، وأدهشنى مجدى نجيب بصوره وتشكيله
البديع، وخطفنى الأبنودى بلغته التي تشبه ديارنا، أما حجاب فقد ذهب بى إلى
عالم الجن والجنيات!! ومن يومها وكل ما تقع في إيدى حاجة ليه، أفتش عن
«سحرها».

مرة لقيت شريط كاسيت وحيد باين عليه سافر سوهاج غلط.. لأنه كان
نسخة يتيمة عند عم «على زكي»، ومركون في الآخر خالص من تحت، بس
لمحت عليه صورة محمود الجندى، وماكتتش أعرف إنه بيغني.. أخذت الشريط
وذهلّت لأن به مجموعة من الأغنيات البديعة على رأسها «فنان فقير على باب
الله» بتاعة عمنا فؤاد حداد، وفيه غنوة لعمنا سيد حجاب اسمها «الدنيا دى
بتاعة، والناس دولهم بتوع»! وأدهشتنى مجدداً تلك الهندسة التي «ينمنمها»
عمنا سيد، وتوالت فوق رأسى «ألعابه» البهلوانية، أكيد طبعا فاكرين «نفس
الشموس بتبوس على روسنا» وكل إبداعات «الشهد والدموع». بالمناسبة فيه
مجموعة من الرباعيات لم تذع في الحلقات سجلها الحجار بصوته وحصلنا على
نسخة كاملة منها «سرقة» من مكتبة عمنا خيرى شلبي.

وأكيد فاكرين «البحر بيقول وبحر الله ما يكذبش.. يا بحر قول كلمة الحق
الصريح وامشي»، وأكيد فاكرين «سوسة كف عروسة»، وأكيد برضه فاكرين
«حبيبتى من بين ضفايرها طل القمر» ودى بالذات لو عمنا سيد ماكتتش
غيرها «كفاه»!

وجيت القاهرة ونفسى أشوفه، أخذت تليفونه من صديق وطلبتة وفوجئت
بأنه يرحب بى وكأنه يعرفني، ويعاملنى بأبوة نادرة في هذا الوسط، وبعد ساعة
كنت في بيته!! وبعد شهر كنت في بيته الثانى بالإسكندرية بجوار قلعة قايتباى

في حضرة الموسيقار حمدي رؤوف والمطرب السكندري الجميل أحمد جمال - مطرب معروف وله حفلات بالأوبرا - وهو غير أحمد جمال بتاع أراب أيدول.. وحتى الصباح عمنا سيد يسمع الجميع ويضايفهم بأبوة غريبة، وبعدها بأيام كنت معه في الاستديو، أستمع بتسجيل آخر أغنيات ألبوم «تجيش نعيش» الذي لحنه ياسر عبدالرحمن وغناه على الحجار، كلاهما كان صديقاً.. لكن صاحب الدعوة كان عم سيد، واستمر التسجيل لساعات وانتهى بإفطار فول وطعمية وجرجير، ومش فاكركمين صاحب العزومة، لكن اللى فاكركه أن الحجار كان يريد اسمًا للألبوم، واقترح عم سيد اسمًا وكذلك فعل ياسر، ثم جاء عامل البوفيه واقترح «تجيش نعيش» ليؤمن عمنا سيد والجميع على رأيه، واستغربت من هذا الرجل الموسوعى الذي درس الهندسة، وتركها من أجل الشعر، ابن الصيادين الصبور مثلهم، الذي تحمل سجن نظام عبدالناصر وخرج ليغنى له حتى ينتصر مجددًا، البناء الذي سافر إلى فرنسا ليتعلم الدراما وعاد ليكتب أوبرا في بلد أكثر من نصفه يبحث عن شهادة محو الأمية، رجل يؤمن رغم كل ما عاناه بأن «الحل بسيط، حبة تخطيط»!!

عم سيد حجاب لم ينبج - في حدود ما أعلم - سوى ابنته الفنانة ريم حجاب، والأبنودى لم ينبج سوى آية ونور، والأخير كنا نناديه بالخال لأنه صعيدى مثلنا يؤمن أن «الخال والد»، لكن حجاب نناديه «يا بابا»، لأنه وفى عرف معظم شعراء جيلى والجيل الذى سبقنى والجيل الذى تلاتنى «والد الشعراء».. لأنه بالفعل يمارس أبوته لكل من يطلبها، وبالمجان، لا ينتظر أن تقابله ببنة مماثلة، وهكذا يفعل جيل كامل من الفنانين في الدراما، والفن التشكيلى.

كنت إذا ذهبت فجرًا إلى روف فندق أوديون في وسط البلد، أجد ترايبزته في المنتصف، يجلس عليها أحمد زكى وصلاح عنانى ولطفى لبيب ومحمود حميدة وطارق لطفى ومحسن حلمي، أقول الأسماء بلا توصيف فجميعهم نجوم، وغيرهم، وفى ليلة تالية تجده مع إبراهيم داوود وسعيد صالح ومحمد كامل وأحياناً ماجدة الخطيب، وساعات مطربة سورية اسمها ربا الجمال - لا أعرف

أين هي الآن - ويمكن تلاقي حد من السودان، أو من فرنسا، أو من دمنهور!!
وفي كل مرة تجلس فيها معه لا بد أن تمضي وكأنك قد قرأت عشرة كتب مرة
واحدة.

الشاعر سيد حجاب

كنت في بيته في «صقر قريش» منذ سنوات، في صومعته، استمع إلى تسجيل
خاص لتتر مسلسل يغنيه مدحت صالح، أعتقد أن مؤلفه محمد صفاء عامر
واللهجة صعيدي، ثم أسمعني تتر مسلسل آخر يغنيه محمد الحلو - واللهجة
سواحلي - فالأحداث كانت تدور في بورسعيد، وكان من المنطقي أن أسأله
هو انت بتاع فولكلور يا عم سيد؟! ولم يضربني الرجل بعصاه، لكنه شرح لي
علاقته باللغة، واللهجة، وبالظروف الاجتماعية لكل شبر في مصر.

سيد حجاب، الحلواني، اللى عمل «بابا عبده» من أربعين سنة كاملة، واللى
كتب «ماتسر سبيش يا ستينا من بين إيدينا»، صاحب «الأرابيسك»، وابن عم
الأراجوز، واللى علمنا إننا لازم نبص:

بص، بص شوف

شوف الناس والظروف

يمكن تلقى الديابة

لابسة فروة خروف».

عم سيد اللى الحمل زاد عليه ومش قادر «يتآخر» هو نفسه اللى بيعشق «بنت
الذين».. هو نفسه اللى شحنا بالأمل وكتب ديباجة دستور لبلد لا يعرف أنه
يعيش بيننا شاعر كبير «اسمه على بوابتها نزل.. ولا زایل أزل»..، لكننا مثله
سنظل ننادي، «افهم يا بن المدارس» وسنظل نناديه: «أبونا».

رياض الهمشري.. بفرد ضلوعي لحد جرحك يا صديق

لم أكن أعرف أنه نفس الطفل المعجزة الذى كان يغنى فى حفلات الجيش على الجبهة مع العزبى ومحمد رشدى، ولم أكن أعرف أنه مطرب من الأصل.

لكن شغفى باقتناء الألبومات المهجورة من محلات العتبة وشبرا التى كانت منتشرة بكثافة فى عام ٢٠٠٠ أوقعنى فى ألبوم اسمه «حبيبى».. كانت أغنياته من ألحان فاروق الشرنوبى وآخرين، منهم رياض الهمشري نفسه.

استغربت ألا يصبح صاحب هذا الصوت مطرباً كبيراً، وملامح وجهه كفيلة أيضاً بأن تجعله نجماً.. يعنى مساحة القبول عنده كبيرة.. فلماذا لم يحدث ذلك؟! ولم يجبنى أحد سوى بأنه حاول لكن «السوق» لم تجد فيه «فتى المرحلة»، فقرر أن يكمل رحلته كملحن.

وصدر ألبوم لما «الشتا يدق البيان» للحجار، وحاز نجاحاً مبهرًا فى كل الأوساط، كانت التنويعات الموجودة داخله كفيلة بأن تجذب له شرائح شتى إضافة لشريحة المثقفين التى اعتادت فى حياتها ألبومات الحجار ومنير فى كل الأحوال.. وكان أن فوجئت بأغنية «انكسر جوانا شىء»، ووجدت اسم بهاء الدين محمد مؤلفاً، ورياض الهمشري ملحنًا، ويبدو أن حالة شخصية كانت تطاردنى وقتها جعلتني أركز مع الأغنية، لدرجة أننى انتبهت إلى «عيب فنى» فى تسجيل صوت الحجار فى أحد مقاطعها، وفى إحدى السهرات التى جمعتنا لم أستطع مسك لسانى فأخبرته بذلك، ورميت العيب على رياض، فضحك الحجار وكأنه أمسكنى متلبساً بالكذب «يا راجل عايز تجاملنى على حساب

الراجل الطيب».. وأكمل:

«أولا ده مش عيب فنى.. ده نشاز.. انت عايز تقول كده بس ما حبيتش تضايقنى.. اللحن رائع ومغرى.. كل اللى حصل أن إحنا كنا بنسجل فى استوديو «مباير» اللى ف ش معمل السكر بجاردن سيتى.. ونفس العمارة فيها شقتى القديمة.

ونفس اليوم اللى كنا بنسجل فيه كان يوم طلاقى، لا داعى لذكر اسم الزوجة وكنت مخنوقا ومتأثرا، وحاول رياض تأجيل الاستوديو.. لكننى رفضت ودخلت غنيت.. ولأنتى بكيت وأنا أغنى خرج صوتى بهذا الشكل.. ولأنه بشكل علمى لا يمكن الحصول على نفس الإحساس ده مرة ثانية.. رفض رياض الهمشرى والموزع إعادة المقطع:

«انكسر جوانا إيه..

قلبى بيحاول يسامح

انكسر مهما نداريه

بابتسامة حب طارح.. إلخ.

وعموما هو نشاز من وجهة نظرى لكن الموسيقيين لن يعتبرونه نشازا لأنه «شيء مش ملحوظ»، وكان من الطبيعى أن أتابع رياض الهمشرى فى أغنياته لجيل كامل من أول نور المهنا بقدراته الصوتية المبهرة وحتى محمد هنىدى اللى مش بيغنى أصلا فى كامتنا!!

نجح الهمشرى فى أغنيات السينما «صعيدى فى الجامعة الأمريكية مثلا» مثلما نجح فى أغنيات المسرح والكاسيت.. أغنياته للجنس اللطيف لا تختلف عن أغنياته للرجال.. للعرب مثل المصريين.. وكان لا بد إنى أشوفه.. وحدث أن كنت مع صديقى الشاعر إبراهيم عبدالفتاح، وجاءت سيرة رياض، وعرفت أنها يسكنان معا فى شقة بشارع الحجاز فى المهندسين، وعزمنى إبراهيم للسهر

معهما والتعرف على رياض.

أول يوم شفته شعرت أننى أمام نموذج متكرر للموهوبين الكبار.. طريقة استقباله لضيوفه.. تعاملاته مع المكو جى والسايس والبواب.. مناخيره المرفوعة فى وجهه منتفخ أراد استغلاله.. وأيضاً فوضويته.

وشعر رياض أننى أراقبه فضحك.. وقال.. مالك؟!!

قلت مش عارف ليه حاسس إنك بتقلد عم بليغ فارتبك.. وأضاف: «أنا فى العادى مش بتقلد حد.. ممكن أكون تلميذا لعبدالوهاب والمو جى وبليغ، بس أتحداك تلاقى عندى حرف من حد منهم.. وقاطعته «يا عم أنا بتكلم على الفوضى اللى إنت عايش فيها دى مش على ألمانك.. فخر على الأرض من شدة الضحك.. ثم أكمل «ربنا يستر» كان بليغ وقتها قد تورط فى حادث سميرة ملىان، وكان رياض يمر بأزمة زواج ثان لم أكن أعلم تفاصيله.

واعتدت أن أذهب لشقة رياض.. وأسمعه ويسمع ما أكتب.. أشاهده وهو يلحن مجموعة أغنيات كان المفروض أن يغنيها إيمان البحر درويش، حاول رياض أن يمزج فيها بين القديم جداً والأشكال العصرية فى الموسيقى.. كانت تجربة أكثر من رائعة.. لكن إيمان تهرب من التجربة لأسباب غير مفهومة.. فقام رياض بغناء أحد ألمانها بعد أن قام عبدالفتاح بتغيير الكلمات من «يا قمر يا بعيد» إلى «يا هوى المواعيد».. وباقى الكلام للأغنية لا يزال عندى.. وشاهدته وهو يلحن أغنيات لنجوم الخليج.. فى نفس الوقت الذى يلحن فيه كلمات متجاوزة ومدهشة مثل «لفرد ضلوعى لحد جرحك يا صديقى» التى غناها مدحت صالح، ويلحن فى نفس الوقت «ليلة يا ليلة» لهشام عباس، وانفجرت موهبة رياض لألمان لفضل شاكر وراغب وشيرين عبدالوهاب «جرح تانى» على سبيل المثال، ثم اضطرته الظروف بعد عدة أحكام قضائية للهجرة إلى بيروت والإقامة هناك، فى البداية عند أصدقاء له، ثم توالى عليه طلبات المطربين، فاستقل بسكن خاص به، لكن ظلت فكرة عدم قدرته على

العودة أمرا مزعجا لا أعرف بالتحديد ماذا حدث.. ولا كيف صدرت هذه الأحكام.. وهل كانت وحدها سبب هجرته أم لا؟ لكنني أعرف أن ما توقعته معه منذ ٢٥ سنة حدث، ولم يهنا هذا الملحن النادر بحياة مستقرة منذ كان طفلا يغنى ألحان سيد درويش وحتى وافته المنية فجأة في غربة لم يكن يريد لها.

أحمد إسماعيل .. مصر الى جاية الشجر من زمان

الى ماراحش طلعت حرب مش مثقف.. والى ماقعدش على زهرة البستان
مش مخاوى جنية.. الكلام.. ده الى طلعتنا لقيناه... وده الدرس الى حفظناه...
وده العمر الى ضاع وإحنا شايفينه.. وبنضحك ومش فاضل منه غير شوية
ذكريات وكام قصة وحكاية فى كتابات مكاوى سعيد وخالد إسماعيل وإبراهيم
عبدالفتاح.

زهرة البستان ليست مجرد مقهى فى ميدان طلعت حرب.. لكنها «البوابة»
التى مر منها محمد عفيفى مطر وإبراهيم عبدالمجيد وصنع الله إبراهيم، وخيرى
شلبى وإبراهيم منصور.. هى «الرحبة» والبراح الى ساع مجدى الجابرى
وخالد عبدالمنعم ومحمد الحسيني، ويسرى حسان ومحمود الحلوانى ومصطفى
الجارحى وطاهر البرمبالى.. عشرات من جيلى والجيل الى قبلى إنهم ليسوا مجرد
أشخاص.. أو أسماء تحمل تاريخ حاملها وتلقى بها على صفحات بيضاء
اسمها الصحف.. هى أعمارنا.. أجمل أعمارنا.. نزواتنا.. خيالاتنا.. أفراحنا
القليلة وتجاربنا العاطفية الفاشلة.

يمكننى الكتابة حتى عشرة أيام قادمة عن «زهرة البستان» لكننى لن أفعل..
بى من الوجد ما يكفى.. فقط أشير إلى أنه المكان الذى وجدت أحمد إسماعيل
يجلس فيه لأول مرة عام ١٩٨٩.. كان مجرد فتى نحيل يتسم بمودة للعابرين

وفي حجره «عود».

عرفت أنه من أهل الموسيقى.. وحتما سيذهب بعد قليل إلى أتيليه القاهرة ليغنى لنفر قليل هناك.. وحتما هو يغنى أشعارًا ليست مثل أغنيات الراديو والكاسيت.. لكنني لم أتخيل أبدًا أنه «حارس البير».. بير فؤاد حداد الغويطة.

كنت مثل كل «الصعايدة» القادمين للبحث عن فرصة تحت عامود في شوارع بنت المعز.. أحفظ مسحراتي عمنا فؤاد من الراديو.. من صوت سيد مكاوى.. وكنت قد حفظت الحضرة الذكية من قريبي د. أحمد أبورحاب.. فقد قرر أن يحفظها أطفال العسيرات الذين وقع عليهم اختياره لتكوين أول فرقة كورال أطفال في قرية بالصعيد.

وكان عمنا خيرى شلبى قد أهدانى أحد دواوينه بتوقيع خاص منه.. ما زلت أحتفظ بالديوان والتوقيع حتى الآن لكنني لم أكن قد وقعت في غرامه وصرت من مريديه بعد.. كان جابر أبو حسين هو «شيخي» والأبنودى وحجاب وفؤاد نجم رفقاء طريق.. كنت أرى صعوبة في «فهم» فؤاد حداد.

في تلك الليلة التي طالت حتى صباح اليوم التالى.. سافر بى أحمد إسماعيل إلى غزة وهو يغنى «ازرع كل الأرض مقاومة».. وفتح لى «شبابيك على نيل الشعب» وهو يغنى «يا شعب يا معلم».. لكن تحفته «مافيش فى الأغانى كده ومش كده» ظلت تلاحقنى لأيام.. وكلما رأيته أستعيد غناءها.. وكنت أتوقف كثيرا أمام:

«يا مصر الى جاية الشجر من زمان.. وشايلة الضفاير على البرتقان!».

ومرت أكثر من أربعة أعوام وصدر لى أول ألبوم غنائى مع على الحجار.. وصرت مسكونا بوسط البلد.. أنتهى من عملى فى الخامسة بشارع ماسبيرو ثم أذهب إلى المقهى.. وأظل حتى الصباح.. أنتقل من شارع إلى آخر ومن «ركنة

إلى أخرى».. من ندوة.. لقعدة.. لحفلة.. لرحلة سفر.. وفي كل مرة آراه أسمع منه لحنا جديدا لكلمات جديدة لفؤاد حداد.

عرفت أنه من الجيزة.. من ميدان الجيزة تحديدا حارة صغيرة في شارع زحمة بالقرب من مستشفى أم المصريين. وأنه ابن جيل خالد يوسف وجمال بخيت واتحاد الطلبة.. وأنه قاسم أساسى في ندوات ومؤتمرات كل قوى اليسار.. وأنه حاول الغناء وسجل ألبوماً «على قده» به أغنياته الخاصة.. لكن هوجة الكاسيت و«في السكة شفت اتنين ماشيين مع بعضهم» لم تسمح له بأن يمر.

سنوات والرجل يمد يده في «شجرة فؤاد حداد»، وتلامذته، ويعصر لنا «قمر دينه».. نفطر ونتسحر.. والشهرة تبتعد عنه.. ترفضه.. هو فقط في كرايس المثقفين في القاهرة بيروت وعمان والجزائر وفلسطين التي غنى لها كثيرا.. ودون أن يقصد تسللت «مافيس في الأغاني» إلى أحد أفلام صديقه خالد يوسف في مشهد يجمع إبراهيم عيسى ومى عز الدين، ثم نجحت أغنياته في «دكان شحاتة» ليسأل الناس عن هذا الصوت.. وعن سر هذا اللحن المختلف.. عن سر ذلك الوتر الموجه.. فكان حتما أن يكشف خالد يوسف عنه في «كف القمر» بواحدة من أشهر وأحب أغنيات جيل كامل اسمها «يا طوبة خضر.. وطوبة حمرا.. وطوبة.. البنّا يضرب فيها بالموال».

نجاح «كف القمر» وأغنيته.. سبقه وجود مكثف لأغنيات أحمد إسماعيل بعد انفجار ٢٥ يناير.. فالجماهير التي لم تكن تعرف يعنى إيه ثورة لم تكن تعرف ماذا تغنى في الميدان، ووجدت نفسها مرغمة تذوب في ألحان أحمد إسماعيل «ارفع راسك فوق.. أنت مصرى».. والشيخ إمام ومارسيل خليفة ومحمد منير وعلى الحجار.. وكالعادة كان أحمد إسماعيل بشحمه ولحمه في الميدان.. ومن الطبيعي أن تبحث برامج الفضائيات عنه، وظن الرجل أن الجماهير قد عرفت طريقها أخيرا إليه.. لكن الجماهير عادت بإرادتها أو رغما عنها إلى بيوتها..

وتركت الميدان ومصر بحالها للإخوان المسلمين الذين لا يعرفون أحمد إسماعيل ولا يحبون أغنياته لأنها لا تشبه سوى «الرصيف اللى فى السيدة».. وعاد الغناء إلى موقفه المعتاد فى مواجهة الإخوان.. وكره الناس الثورة واسمها وأغنياتها. لكنهم قطعاً أصبحوا يعرفون أحمد إسماعيل وكرسيه الخالى على ناصية شارع نخيل فى وسط البلد.

خضرة محمد خضر.. سِتّ العشق والعشاق

زى كل أولاد الريف والصعيد فى أول حياتهم فى القاهرة.. ما كناش بنرتاح فى سكن.. الأسباب متعددة والنتيجة واحدة.. وكل شوية نلم العزال بتاعنا - وشوية كراتين «كتب وشرايط» - ونشوف حتة تانية.. ما كناش بنعمّر مع مالك عمارة أبداً.

من الشقق المفروشة الكثيرة اللى سكننا فيها كانت شقة فى الطالبة بالهرم.. وكان معنا فيها صبرى فواز الممثل المشهور الآن.. القادم من إحدى قرى سيدى سالم بكفر الشيخ.. والممثل الموهوب لآخر نفس فيه - أحمد قنديل - هو الآن أحد أعضاء فرقة الغد بمسرح الحكومة - على ما أظن - والمخرج على رجب - لم يكن طالبا بمعهد السينما - وكان قد قد جاء من الإسكندرية.. والشاعر مصطفى عبادة الحاصل على جائزة دى للصحافة فى هذا العام.. وناس كتير ياما.. الشقة بتملى وتعبي.. يعنى يمشى واحد.. يجى واحد.. المهم فى الشقة دى كان بيزورنا ناس كتير شبهنا، الممثل حلمى فودة.. والممثل أحمد صادق.. والمخرج د. سيد خطاب - رئيس هيئة قصور الثقافة - وغيرهم.. وكل ليلة يتنصب مولد الشعر.. والغنا اللى كان سيده وتاج راسه الملحن الراحل أحمد شاهين - كان قد جاء من كفر الشيخ واشتهرت له بعض الأغنيات منها - بحبك أنت لداليا.. وليه يا دنيا الواحد لمحمد منير وخالد عجاج.. وفجأة عمنا صبرى فواز - وبالمناسبة هوه شاعر جميل وله ديوان مطبوع اسمه حنين للضى صدر عن دار ميريت - خدنى على جنب يقولى على سر عظيم.. إيه

الحكاية يا عم صبري.. قال «نعمل فرجة مسرحية لشهر رمضان هنعرضها في المؤسسة العمالية بشبرا الخيمة».. وسكت.. كان صبرى ولا يزال - على ما أعتقد - مجنوناً بالمسرح.. هو عشقه الأول قبل الكتابة والتمثيل.. الإخراج غوايته التي أدمنها مبكراً ولا أظنه يستطيع التخلص منها.. المهم لم يستهونى الأمر.. وحسبتها يعنى الواحد ياخذها رايح جى على شبرا الخيمة ستين يوم.. طب يجيب فلوس منين للحكاية دي.. ولما وجدنى غير متحمس.. قال بس ما تزعلىش لما أجيب شاعر تانى يعمل الأغاني.. أو أكتبها أنا.. فلم أغير شكل وجهي.. لم أهتم.. ثم ألقى بقبيلته: «طب ولو قتللك إن اللى هتغنى الشغل ستنا خضرة محمد خضر؟!».. ولم ينتظر صبرى إجابتي فقد كان يعلم أنني أذوب عشقاً في صوت هذه السيدة ومثلها مثل بدرية السيد وحفنى أحمد حسن.. فقد كنت طفلاً في قريتي وأنا أبحث عن صوتها في إذاعة الشعب.. وعند أصدقائي في شرايط كاسيت قليلة ومسجلة من برامج زكريا الحجاوى - الذى كان قد تزوجها - ومنذ جئت القاهرة وأنا لا أعرف كيف يمكننى أن أستمع إليها وهى تغنى - وش كده.

وفي ٢٤ ساعة كنا قد انتهينا من الأغاني.. التى كانت تتم كتابتها في نفس وقت إعداد النص الذى أعده صبرى نفسه عن قصة قصيرة لعنينا يوسف إدريس اسمها «سره البائع».. وقبل رمضان بأيام.. كنا هناك في مسرح شبرا الخيمة.. نشاهد البروفات.. واختلس دقائق لأسمع «خضرة» التى حفظت ألحان أحمد شاهين بسرعة غريبة.. وبسببها كنت أذهب كل يوم.. وكان العرض به أغنية يرددوها الفلاحون على الشط وهم يرجون جثة بطلم الشعبى في أن ترسو على شاطئهم.. هذا البطل الذى يطارده الفرنسيون لكنه بسبع أرواح.. يقطعون أصابعه فتصير أصابع كل الناس بدلا منها.. يحرقون بيته فتصبح بيوت كل القرية بيته.. يحرقون القرية فيذهب للغيطان.. يحرقون الغيطان.. فيذهب إلى البحر.. ثم يقتلونه.. لكن الأهل يأتون بجثته ويلقونها في كل مكان على طريقة الهنود فيخرج البطل من كل مكان وقعت فيه - حبة من ريحته:

المهم كانت الأغنية تقول:

حوّد هنا حوّد

يا طالب الدفنة

حوّد هنا حوّد

لا تموت ولا تفني

ف العين دى مرسى ليك

والعين دى مرسى ليك

لما جالنا مراسيلك..

شبت عواطفنا.. إلخ.

وكل ليلة كنت أسمع خضرة وأبكي.. وأشعر أنها تبكى هى الأخرى.. وفى ليلة لم تحضر خضرة وعرفنا أن زوج إحدى بناتها يعمل فى وظيفة مرموقة.. وأنه منعها من الغناء.. وأنه هدهدها بطلاق ابنتها لو استمرت.. ولأنه تحبه وتحب ابنتها وتحب الغناء فى نفس الوقت تخرج كلمات الأغنية من لسانها وكأنها تبكى - ناهيك عن مساحة الشجن الموجودة فى صوتها أصلاً - المهم.. عرفت أن أعضاء الفرقة كانوا قد ذهبوا لزوج ابنتها الضابط وأقنعوه أنها المرة الأخيرة.. وأن المطربة العجوز أمامها أيام وينتهى العرض.. - وخليها بجميلة - ولأن السيدة تحب المسرح والغناء كانت تعد الأيام الباقية.. وكلما نقص يوم.. زاد حزنها وبكاؤها.

ونجح العرض بشكل مذهل.. كانت تذكرة الدخول فى هذه المنطقة الشعبية لا تزيد على جنيهين لكنه أمر مدهش أن يمتلئ المسرح كل يوم.. وأن تقرر الثقافة الجماهيرية مد العرض ثلاثين ليلة أخرى.. لكن هذا لم يحدث لأن خضرة لم تستطع أن تخلف اتفاقها مع زوج ابنتها.

الغريب أننى لا أتذكر من أغنيات ذلك العرض.. وكان اسمه «المدد»..
أى أغنية أخرى غير تلك التى أشرت لها سابقا رغم وجود عشر أغنيات
أخرى تقريبا.. وللأسف ضاعت الألحان برحيل الملحن الجميل أحمد شاهين..
وأعتقد أن نجاح صبرى فواز فى أفلام خالد يوسف.. ومسلسلات رمضان
وآخرها أفراح القبة والميزان اللذان يعرضان الآن.. كفيلة بأن تنسيه مش بس
الأغاني.. لأ.. وشبرا بحالها كمان.. لكننى أعتقد أنه لن ينسى صوت «خضرة
محمد خضر».. وذلك الطفل الذى كنا نشاهده مشدودًا إلى خشبة المسرح ينظر
إليها كل ليلة ونستغرب.. هذا الطفل أصبح نجمًا الآن.. تشاهدونه كل ليلة
وهو يقطر فنًا فى مسلسل المغنى وهو يؤدى دور شبيه الكينج المهووس به..
واسمه «محمد عادل» والذى أعتقد أنه نجم الأيام القادمة بلا منازع.

محمد الحلو..

أحسن واحد يتنصب عليه في العالم

في الأول كنت فاكراً أنه إسكندراني، لكنه فاجأني أنه أصلاً من المنصورة، واتربى في أسيوط، وأنه من شارع محمد علي، وأنه مش فاكراً عدد الشقق اللي عاش فيها من كتر ما اتعود على عدم الاستقرار في مكان واحد، زيه زى كل أولاد عائلة الحلو، أشهر عائلة في عالم السيرك المصري.

اسمه محمد الحلو، لكنني أسميه «أبو آدم»، هو من اختار اسم آدم ليطلقه على ابنه محمد بعد أن قرر احترام الغناء مثل أبيه، وإذا كان آدم أبو البشرية، فمحمد الحلو أبو آدم في الطيبة، أحسن واحد يتنصب عليه في العالم، حتى لو ادعى أنه مش كده.

ورغم إيماننا المسبق بأن كل من عاش في شارع محمد علي أو حتى عدى من قدامه يبقى «دقراً» وما حدش يغلبه، ورغم الشهرة المدوية لأهل الموسيقى في أنهم في الفلوس ما يعرفوش حد وصعب يتغلبوا، إلا أن محمد الحلو، مش كده أبداً، ويمكن علشان كده ماعملش فلوس وهو «الألفة» بين كل أبناء جيله من خريجي فرقة أم كلثوم.

حكى لي مرة بعد أن صرنا أصدقاء وعملنا معا في أكثر من أغنية، أنه عندما كان يغنى هو وعلى الحجار ومنير وعمر فتحي في فرقة واحدة في ملهى ليلي بشارع الهرم، في السبعينيات من القرن الماضي، كان اسمه «شالبيار»،

اتفقوا بناء على رغبة الحجار أنهم ما يقبلوش نقطة، يعنى الفقرة بتاعتهم ماحدش يقوم يرقص ولا ينقط!! المهم عملوا كده كام يوم، وفجأة انفجر عمر فتحى وقرر أنه ينزل ياخذ النقطة الى بترمى عليه والى مش عايز ماياخدش، ويكمل الحلو، اتزنت طبعاً، إحنا مش معانا فلوس، ولسه ماعملناش لا كاسيت ولا نيلة، وعمك بليغ راكنا جنبه كذا سنة، صحيح كان بيعمل لنا أغانى وكل يوم نردحله ونقعد فى مكتبه اليوم كله، لدرجة إن كان فيه كنبه، الى يتعب فينا يقعد أو ينام عليها والباقي يفضل واقف، يعنى الحالة كانت صعبة والفلوس الى بترمى علينا وأخوك الحجار رافضها مش قليلة، وأنا مش ممكن أصغر على، المهم يا مولانا، جه يوم وعمك عمر فتحى عملها وحطنا أنا ومنير فى المزنقة، بصيت لمنير فقام هو الثانى كاسر الاتفاق وخد النقطة، بقيت لعل فى شكلى صعبت عليه قام واخدها هو كمان.

عرفت الحلو نجما، شارك فى عشرات الأفلام، وبطولات المسرح وله ١٥ ألبوماً غنائياً، لكننى ومنذ عرفته وحتى اليوم لا أجد أنه تغير لحظة، هو نفس الرجل الطيب الذى لا يحسب لشيء أبداً، لا فلوس ولا بيوت ولا عيال، لا نجومية ولا شهرة، لم أضبطه يوماً حزينا حتى وهو فى «السجن»؟!

أيوه فى السجن، الذى ذهب إليه بعد أن تورط فى كتابه شيكات بدون رصيد، لأنه شارك فى مطعم واشترى أجهزة بالأجل، ولأنه لا بتاع تجارة ولا مطاعم، المطعم خسر، وأصبح الحلو مهددا بالسجن، وقد بات ٢٤ ساعة فى حجرة صغيرة فى قسم أول مدينة نصر، وكنت معه وزميلي وصديقنا المشترك محمد عبدالله رئيس تحرير مجلة «الشباب» حالياً.

يومها رغم المحنة التى يمر بها نجم مثله، وجدته مبتسماً يسخر من نفسه ومن طريقتة فى إدارة المطعم والفكرة على بعضها، يحكى ويضحك من نفسه كأنه واحد تانى، ورغم خروج الحلو من تلك المحنة بسلام -يومها دفعت فى عيده قسطاً كبيراً من الشيك وكذلك فعل صديقنا المشترك الموسيقار

أمير عبدالمجيد- لكن الحلو لم يتغير، تورط بطيبة منقطعة النظر في عملية شراء قطعة أرض بالبحر الأحمر، وكاد يدخل السجن مجددا، لكن الله أنقذه وتم القبض على من حاولوا توريطه، ليعود مجددا ليلعب دور الرجل الطيب الذى لا يفارقه أبدا لدرجة تشعر أنه لم يتعلم من «السيرك» الذى تربى فيه سوى دور «المهرج»!

حكى لنا مرة، أن رجلا ضريرا كان يحضر إلى بيتهم فى شارع محمد على، ليقرأ كل يوم خميس عدية «يس»، ولأنه تعود على ذلك لسنوات لم يكن يحتاج إلى مساعد، هو يعرف الطريق إلى الباب ومنه إلى السلم، ثم إلى كنية جنب باب السلم يخلع نعليه ويترع ويقرأ وحينما ينتهى يجىء له أى فرد من أهل الدار بالموجود، وممكن ماحدث يجىى ياخذ بعضه ويمشى، المهم فى يوم «عمته» نسيت تقفل على الأسد الى فى القفص، وفيما الشيخ يبدأ القراءة زار صاحبنا، فتوقف الشيخ عند منتصف الآية وخرج يجرى، والأسد وراه، واتقلب الشارع كله.

الحلو حينما يحكى لك هذا المشهد من طفولته، بيتسم ويضحك، وحينما يحكى لك مشهد حريق اليخت الخاص به فى الغردقة، دفع فيه ما يقرب من المليون جنيه من عشرين سنة، يضحك أيضا، فلماذا لا أراه مهرجا طيبا.

صديقى محمد الحلو الذى تسر سبت السنين من بين ايديه، مثلما تسربت منا، أعتقد أنه لن يتخلى عن طبيته أبدا، ولا عن ابتسامته أيضا، وأعتقد أننا لن نتحلى عن أغنيته التى لا شبيهه لابتسامتها أبدا.

obeikandi.com

وجدى الحكيم .. حارس الخزانة

كان الطريق إلى دمنهور طويلاً بالنسبة لى، لم أكن قد ذهبت إلى هناك من قبل، لكن حكايات عم خيرى شلبى عن تلك المدينة أغرتنى بالسفر فى أتوبيس متهالك ومعى أفراد فرقة موسيقية اعتادت قطع عشرات الكيلو مترات لإحياء حفلات أضواء المدينة

وهوّنت نواذر عبدالعزيز مخيون المسافة علينا، كان يحكى لنا عن أهله وطفولته وقريته التى يعتز بها، سبع ساعات تقريبا مرت قبل أن يصعد المذيع ليقدم الحفل الأول الذى أغطيه لأضواء المدينة، و٣ ساعات بعدها مع سيد الملاح وإيهاب توفيق وآخرين، ثم عشر ساعات مميتة فى طريق العودة، وكان من الطبيعى أن يؤثر الأمر على رؤيتى للحفل ولا أنظر سوى من زاوية صغيرة لأولئك المنظمين الذين بهدلونا فى السفر وعلى رأسهم وجدى الحكيم، المشرف على حفلات أضواء المدينة، وكان أن صدر العدد التالى من المجلة بمانشيتات مؤذية لمشاعر الرجل وحفلة، وفوجئت باتصال منه يطلبنى للقائه، وتوقعت أن يعاتبنى أو يثور فى وجهي، لكنه وبمجرد أن رآنى وجدته يبتسم فى وجهي ويفتح ذراعيه ليحتضنى ويختمها بقوله «عندك حق فى كل اللى كتبه»!

هذا هو وجدى الحكيم أحد أهم حراس تراث الأغنية المصرية على مدار ٥٠ سنة، منذ قابلته فى تلك الليلة من ٣٠ سنة وأكثر وحتى رحيله عنا منذ عام مضى، جلست معه ساعتين ثم فاجأني: «أنا رايع لعمك بليغ، تيجى معايا»!!

وجدى الحكيم يعنى بليغ حمدى وعبدالوهاب وأم كلثوم والموجى والطويل
وعبدالخليم حافظ وفاتن حمامة.. يعنى فهد بلان وفريد الأطرش ووردة
الجزائرية وبهجت قمر، يعنى مدحت صالح وسميرة سعيد ولطيفة التونسية
وعبدالله الرويشد، تاريخ طويل من العلاقات الإنسانية التى لا تذوب إذا ما
طلعت الشمس.

فى الاستديو الخاص بعم وجدى فى شارع فيصل، مجموعة من اللوحات
الفنية رسمها الفنان العربى حسن أدلبى لعدد من المطربين والملحنين، فيروز،
بليغ، عفاف راضى، عبدالوهاب، أم كلثوم، ولوحة شرف وقع فيها بالقلم
الجاف كل من مر إلى القاهرة ليصبح نجمًا، يمكنك أن تلمح توقيع راغب
علامة مثلًا والتاريخ بجواره فى نهاية الثمانينيات، ويمكنك أن تجد توقيعاً
من صباح فخري بتاريخ أحدث أو أقدم، يمكنك أن تندهش وتساءل كيف
استطاع «الحكيم» أن يحتوى محبة كل هؤلاء البشر «المتناقضين»، لكن السؤال
الأهم كيف استطاع أن يحتفظ بأغنياتهم وأسرارهم وأوراقهم الخاصة كل هذه
السنوات؟!

لم يكن الحكيم مجرد مذيع شاطر فى صوت العرب، لقد جاء الرجل من
أسيوط ليصبح ضابط شرطة، هذا ما أراده له أسرته الصعيدية الميسورة الحال،
لكنه لم يكن يريد، كان هناك شيء غير محدد يدفع به إلى «الميكروفون».. كان
يجيد كتابة الأشعار والقصص لكنه يرى نفسه غير موهوب فى ذلك، وكلما قرأ
قصيدة لأحدهم أدرك أن ما يكتبه لا لزوم له، المهم أنه حسم أمره ودخل إلى
صوت العرب وعمل فى «الموسيقى والغناء»، ومنذ يومه الأول أصبح صديقاً
لعبدالوهاب - نعم عبدالوهاب - وإذ كنت قد حصلت على ثقة أكبر موسوس
فى عالم الموسيقى والغناء فقد ملكت الجميع.

التقيت الحكيم مئات المرات فى سهرات خاصة مع حلمى بكر، فاروق
الشرنوبى وغيرهما قبل أن أعمل معه فى برنامج تليفزيونى لإحدى المحطات

العربية، وتصورت أن طريقته الودودة والأبوية ستتغير حينها نعمل معاً، لكن شيئاً لم يتغير، كان يرسل لى رؤيته للحلقة، أفعل بها ما أشاء ثم أذهب إليه، وقد غيرت تقريباً كل ما كتبه فيضحك، ويفاجئنى «أنا كنت عارف إنك هتعمل كده»، طب إيه رأيك لو أضفنا التسجيل ده للحكاية! فأضحك أنا الآخر لأنه أخفى عنى هذا الكنز، ولم يخبرنى به من البداية، وعادة هذا الكنز إما أغنية جديدة لبليغ لم تذع من قبل أو خطاب بخط يد عبدالحليم أو تسجيل نادر لعبد الوهاب وهو يقرأ القرآن، إلخ وهكذا هو دائماً، وهكذا أنا أيضاً.

عمرى ما رحت مكان شغل واتكلمت فى الفلوس، وهذا ما أدركه عمر وجدى من اللحظة الأولى، ووجدته يسألنى عايز كام؟! قلت مش عارف، فضحك وأضاف كنت عارف إنك هتقول كده: عموماً أنا سألت عن آخر أجر ليك، وطلبت لك كذا، إيه رأيك؟! وكان ما طلبه الرجل لى أكبر مما كنت أنتظر!

وبالمناسبة دي، فيه مرة اتسرقتنا، الأستاذ وجدى وأنا وكل فريق عمل برنامج «أيامنا الحلوة» الذى تحول فيما بعد إلى «العندليب»!

والحكاية أصلها أن مدينة الإنتاج بالاشتراك مع وجدى الحكيم قرروا يعملوا برنامج مسابقات لاكتشاف وجه جديد يؤدى دور حليم فى مسلسل عن حياته يكتبه وحيد حامد، وطلبنى عم وجدى لأكتب البرنامج، وعملنا لوقت طويل فى جلسات تحضيرية شارك فى بعضها دنيا كريم ومحمود بركة وآخرون، وانتبهنا إلى شكل، وكتب وحيد حامد سبع حلقات من المسلسل تقريباً، والأهم أن عبدالرحمن حافظ رئيس مجلس إدارة الشركة وقتها حصل على أموال باسم البرنامج ومعديه، وسجل ذلك فى محاضر رسمية عقب القبض عليه ودخوله السجن، ولكننا لم نحصل على مليم واحد، واختفى المسلسل الى كتبه وحيد حامد والبرنامج الذى كتبناه ليقوم مدحت العدل بكتابة مسلسل آخر، ويعملوا برنامج آخر لا علاقة لنا به، فهل غضب الحكيم؟! أبداً، وكأن

شيئاً لم يحدث.

عشرات البرامج كان الرجل يعدّها ويكتبها ولا يحصل على مقابل لها لمجرد أن مطرباً سوف يحصل على لقمة عيش من ورائها، عشرات الحفلات والليالي أقامها الرجل حتى بعد أن خرج على المعاش، وجدى الحكيم لم يكن مجرد «خزنة للتراث»، لكنه صاحب فكرة، ورجل مخلص لفكرته، حتى آخر يوم قبل وفاته كان يريدنا أن نستكمل مشروع إنشاء مكتبه غنائية وطنية جديدة لماسبيرو وكان أنس الفقى متحمساً للأمر، وكانوا قد أنتجوا ٢٧ أغنية فعلا في بداية المشروع، ثم توقف الأمر بلا أسباب، وظل الحكيم يسأل، ولا أحد يجيب بعد أن رحل أنس الفقى عن ماسبيرو، وجاء المهدي وهيكل وعبدالمقصود والأمير، ولم يفعل أحدهم شيئاً وظل الحكيم يعافر حتى توقفت أنفاسه، وبقيت حكاياته وأسراؤه ومشروعاته في «الخزنة»!

محمد ناصر.. هستيريا العنف

في أوائل التسعينيات كنت أسكن في شارع خلف أكاديمية الفنون.. وكان الموسيقار الشاب وجيه عزيز يسكن في شقة قريبة منى.. وكان معظم النجوم الجدد من طلبة الأكاديمية يعيشون هناك.. المخرج على رجب.. النجم صبرى فواز.. كمال أبورية.. وعشرات غيرهم.. وكان من الطبيعي أن أتعرف على «وجيه عزيز».. الذى لفتت ألعانه نظر وسمع الكثرين ومنهم محمد منير فقرر التعاون معه.

وفى شقة وجيه التقيته لأول مرة.. شاعر معجون شقاوة وتمرد.. كلمات أغنياته جديدة تمامًا.. كان ريفيًا مثلنا.. هو ليس مجرد شاعر وصديق لوجيه، لكنه بلدياته أيضًا وكان معها المخرج الشاب عادل أديب.. كانوا يعدون لعمل مسرحى تقدمه فرقة أطفال تابعة لجمعية أهلية بالمنيا.. كانت الفكرة مبهرة.. والكلمات جديدة ومستفزة والأطفال مدهشين وكأنهم فريق سيمفونى من باريس.

كان كل ما سمعته لمحمد ناصر قبل هذه الليلة لا يتعدى خمس أغنيات أشهرها «مش نظرة وابتسامة» لسيمون.. لكن ما سمعته من وجيه وقد كان بعده لألبوم خاص به ولا يجد له منتجًا وقرر أن ينتجه من جيبه الشخصى بالتعاون مع الموزع هشام نزيه - صاحب موسيقى مسلسل الوصايا السبع - أكثر جرأة.

ثم قرر عادل أديب تقديم تجربته الأولى في عالم السينما مع أحمد زكي.. الذى قرر أن يضم للفيلم إحدى أغنيات ناصر ووجيه:

«وإن ما قدرتش تضحك..

ما تدمعش.. ولا تبكيش..

وإن ما فضلش معاك

غير قلبك..

او عى تخاف..

مش هتموت.. لأ.. هتعيش».

ومثلما أبهرنى ما يكتبه ناصر.. تجاوب الناس مع أغنية الفيلم.. ولا يزال من يسمعها يشعر بنفس الإحساس.. وتوالت الأغنيات.. «بقالنا كثير ما سلمناش على بعض.. نفس الإحساس عندك.. إلخ»، ولم أستغرب أن ناصر نفسه هو أحد الموهوبين الذين قدمتهم سلمى الشماع فى تجربة قناة المنوعات.. وكانت قد حققت نجاحًا مبهرًا وقت ظهورها.. وكان هو أحد عناصر نجاحها.

فى تلك الفترة لاحظت أنه «يمثل» ما يكتبه.. وأن لديه قدرات خاصة أثناء إلقاء ما يكتبه من أشعار تكمل صورة الشاعر المتمرد.. لكنه غير مأزوم على الإطلاق.. ولم تكن ملابسه تشبه أولئك الصعاليك الذين كنا نتعثر فيهم فى مقاهى وسط البلد.. بل كان يصير على أناقته بشكل ملحوظ.. ثم فاجأنى بأنه أصبح مذيّعاً.. يكتب ويقدم برنامجاً اسمه «إنت أكيد فى مصر» حقق نجاحاً معقولاً.. وموازيًا لنجاح أغنياته مع وجيه الذى كان قد تعاون مع آخرين مثل مجدى نجيب وكوثر مصطفى ومحمد حسني.

وأصبح «ناصر» مذيّعاً.. حتى جاءت حلقة استضاف فيها زميلنا «أشرف عبدالشافى» ليعلن فجأة توقف برنامجه!

ورغم كل مساحة التفاؤل والتحدى التى تتقاطر من كلمات أغنيات محمد ناصر.. كان هناك شيء خفى فى شخصيته لكننى كنت أظنه «اضطراب الشاعر».. فلا يوجد شاعر على وجه الأرض يثبت على حال.. ولا يوجد شاعر على الأرض تعجبه الأحوال التى قد يرضى بها كل الناس ويعتبرونها مكسباً!! القناعة كنز لا يفنى إلا فى عرف الشعراء!! فهى مش كنز من أصله.

من هذه الزاوية فقط يمكننى فهم ذلك التحول الغريب الذى ذهب بشاعر رقيق.. حالم.. مع التنوير.. وضد الجهل والعنف والإرهاب قطعاً إلى أن يكون واحداً من مدافع الإرهاب فى الخارج.. مرة فى قناة الشرق.. وأخرى فى مكملين.. أو العكس.. يختفى الشاعر.. وتظهر الهستيريا.. يختفى الممثل الرقيق.. ليظهر ممثل آخر.. يرتدى أقنعة لم تخطر فى بال أى مخرج مسرح من الذين أخرجوا مسرحياته.

محمد ناصر مقتنع تماماً - كما يبدو فى برامج - بما يفعل.. ويظن أنه تحول لمناضل.. مثل جيفارا.. ومثل كل الشعراء القدامى.. هجر الغناء.. ليغنى - نشازاً - عن روح «المحب».. الذى كان يحلم أن يبنى بيتاً - مع أطفال الصعيد - وأن يصنع من الأمل أجنحة.

شاعر كان يتعبه أننا «بقالنا كثير ما كلمناش بعض.. ما شفناش بعض.. ما سلمناش على بعض» يقف فى نفس الخندق الذى يسلم فيه الناس على بعضهم بالقنابل.. كيف حدث ذلك؟!

ربما ذهب البعض فى وقت ما إلى حد المناذاة بعقاب أهل ناصر فى بنى سويف.. وربما لا يعرف الذين ذهبوا لحرق منزله هناك ماذا كتب من قبل.. للشوارع.. والشجر.. والبنت التى بتدارى خجلها فى «الفينكة».

وربما لا يعرفون كيف حدث له ذلك التحول، وربما لا يستطيع أحمد عكاشة ورفاقه من رجال الطب النفسى تفسير ذلك.. لكننى أعرف أن الشعراء لا يموتون مرة واحدة.. يموتون على مراحل.. وأن ما حدث لمحمد ناصر - الذى

كنت أزعج أننى عرفته - مجرد موت مؤقت.. وأعتقد أن الشاعر الحقيقي الذى
يسكنه سيعود حتمًا ليغنى من كلماته:

و«إن سألوك الناس عن ضي..

جوه عيونك.. ما بيلمعش..

قولهم العيب مش فيا..

العيب فى الضى»..

زغللت التحولات الجسام التى مرت بها مصر.. وعالمنا العربى.. معظم
العيون.. وقطعًا عيون ذلك الفتى كانت من بينها.

ميشيل المصري.. قديس الليالي

أتذكر هذه الحكاية كلما استمعت إلى موسيقى ميشيل المصري وأبحث عن السر.. من أين جاء هذا الشيخ الجليل بهذه الجملة الموسيقية الساحرة.. من أين جاء هو أصلاً؟!

عم ميشيل.. صاحب «الدقن البيضاء».. والقلب الأبيض.. اسم على مسمى.. مصرى حتى النخاع.. صعيدى من ساسه لراسه.. مسلم ومسيحي.. قديم وجديد.. شاب وعجوز.. فيه كل صفات العيش الشمسي الى الأيام كوته بنارها وخرج من أفرانها عشان يطعمنا «مزيكا مصرى».

لم أكن أصدق أن صاحب موسيقى ليالى الحلمية.. والحاج متولي.. و«لا إله إلا الله».. وعشرات بل مئات الألحان المبهرة سيلحن لي.. آه والله.. حصل!! أنا الغلبان ميشيل المصري لحن لي.

كنت قد انتهيت من كتابة الأشعار لمسلسل تنتجه صوت القاهرة اسمه «لا شيء يهم» عن قصة لإحسان عبدالقدوس يخرجه أحمد خضر الذى أخبرنى أن عم ميشيل عايز يشوفني.. وأعطانى عنوانه فى ٦ أكتوبر.. واستغربت أن ملحننا كبيراً مثله، يريد أن يرى شاعراً صغيراً مغموراً، لا يعرفه أحد.. وكان همى أنه حتماً مش عاجبه الكلام وعمايز يعتذر لى بذوق.. أو هيقولى غير الكلام وأنا هرفض طبعاً ويحبب حد مكانى.. الراجل طول عمره بيشغل مع أسماء كبيرة أهمها قطعاً عمنا سيد حجاب.. الى عمل معاه الحلمية وأولاد آدم.. وغيرهما..

المهم وجدتنى فجأة فى حضن أب مصرى شديد البساطة والرقى.. طلب منى أن أسجل الأشعار بصوتى.. وسألنى عايز مين يغنى.. قلت «الحلو».. قال «بيهرب ومالوش مواعيد».. قلت.. على ضمانتى.

حوالى شهر.. أتعامل مع رجل رغم إنجازه المهول.. سواء كموزع موسيقى لأهم أعمال عبدالوهاب وفايزة وفيروز وعشرات من جيل الشباب ربما لا يعرف البعض أن أعمال مدحت صالح والحجار والحلو الأولى معظمها لميشيل المصرى.. أسس الكونسرفتوار فى الكويت وألف مئات من المقطوعات الموسيقية الخاصة.. له عشرون فيلمًا ويزيد.. والأهم وهو المسيحى.. له عشرات الألحان والمؤلفات فى الأعمال الدينية الإسلامية أشهرها رائعة أمينة الصاوى.. «لا إله إلا الله».. كانت تحيرنى بساطته وكأنه جزء من آلة الكمان التى يعزفها.. كأنه وترها بالتحديد.

حكى لى أنه من أسيوط.. وأن عائلته نصفها من المسلمين ونصفها من المسيحيين.. وأنه حينما ذهب إلى إيطاليا ليدرس الموسيقى كان المصرى الوحيد فى المعهد، فأطلقوا عليه اسم «المصرى».. وأن ميخائيل يتم تحويلها إلى ميشيل فى بعض اللغات.. ومن هنا جاء اسمه.. ومن «شبرا» استمد معظم أفكار موسيقاه.. زوجته اللبنانية - رحمها الله - منحته مساحة إنسانية أخرى فتحت له نوافذ موسيقية أكثر رحابة.

هذا التكوين الإنسانى المدهش.. جعله أكثر انفتاحًا وقراءاته العميقة فى الأديان الثلاثة، فتحت ذلك السلام النفسى الهائل حتى كأنك تشعر لمجرد الجلوس إليه أنك فى حضرة الموسيقى.

المهم.. عم ميشيل خلص الألحان.. والفرقة راحت عزفت.. وما عدش فاضل غير أن محمد الحلو ييجى يغنى.. «المقدمة والنهاية».. كنت قد اتفقت مع عم ميشيل أنه بس ييلغنى بالموعد وأنا هتابع الحلو.. وأجيبه الاستديو.. وأننا هنتغدى ملوحة قبل التسجيل - الحلو يحب أكل الملوحة جدًا.. وهذا ما

حدث.. وفي صباح يوم التسجيل اتصلت بمدام إيناس أم آدم.. زوجة الحلو..
لأتم عليه يعنى من ١٠ صباحًا وأنا قاعد له.. وعلى غير عادته جاء الحلو..
وأكل الملوحة.. وأدركت أن الموضوع كله باظ.. ومش هنعرف نسجل. لكن
المفاجأة أن الحلو دخل «غرفة التسجيل» بعد أن قرأ الكلام لمرة واحدة.. وكأنه
سبق له حفظه وترديده عشرات المرات.. ومن مرة واحدة «يسمونها وان تيك»..
كان قد انتهى من تسجيل اللحن فيما نصارع - جميع من فى الاستديو - دهشتنا
من قدرته الفذة على أداء لحن صعب ومدهش كعادة ألحان ميشيل المصري.

حدث ذلك عام ١٩٩٧.. يعنى من عشرين سنة تقريبًا.. تغيرنا جميعًا..
وميشيل المصرى على حاله.. يقرأ.. رغم إصابته بتعب شديد فى عينيه..
ويسمع الموسيقى رغم آلام الأذن.. ويعزف رغم متاعب الأصابع.. ويتنظرنا
على مدخل «الحلمية».. التى تستعيد الدراما صورتها من جديد فى مسلسل
جديد يحمل نفس الاسم.. ويبحث عن روحها فى موسيقى «ميشيل المصري».

obeikandi.com

جلاية الحنان.. محمد رشدي

فيلا أدهم.. مجرد يافطة صغيرة تكاد لا تظهر من أواق شجرة مانجو وحيدة تظللها.. لكن خلف هذه « اليافطة ».. حكاية رجل، طيب جاء من ريف دسوق في كفر الشيخ ليصبح أهم مطرب في مصر في ستينيات عبدالناصر.. اسمه محمد رشدي.

أول مرة شفته سنة ١٩٩٤.. كنت حاسس إنى قاعد مع ناظر أنفار.. عفوي.. طيب.. مضياف.. وكأنه لم يتعامل مع إحسان عبدالقدوس وهيكمل وكامل الشناوى وعشرات من عتاوله الصحافة.. مش آلاى خالص.. أنت فقط في حضرة عمك الى رباك في البلد.

لمدة شهرين.. استمعت إلى حكايته كاملة.. وسجلتها في ١٦ شريط كاسيت.. وبدأت نشر أولى حلقاتها ثم فوجئت بطلبى للتجنيد.

وبعد مرور ثلاثة أيام فقط في معسكر التدريب.. وجدت أحد زملائى يطلبنى لمقابلة قائد المعسكر.. فذهبت مذهولاً.. لأنه لا أحد يعرف أننى هنا سوى نفر قليل من أصدقائي.. وبمجرد أن دخلت لمكتب القائد وجدته.. محمد رشدى بشحمه ولحمه!!، كيف عرف.. ولماذا حضر.. ولسه هكمل أسئلة بينى وبين نفسى وجدت القائد يخبرنى أن عمنا محمد رشدى أحيا حفل زفافه من ٢٥ سنة فاتت، وأنه ما شافوش من يومها.. وأنه سيمنحنى أجازة استثنائية إكراماً له.. وأمرنى أن أذهب لأردتى ملابسى

الميرى لأخرج معه.

ونحن خارجان.. أجابنى رشدى عن أسئلتى التي لم أتفوه بها.. لقد عرف من الخال عبدالرحمن الأبنودى أننى ذهبت للجيش.. وبفطرة الريفى الطيب حُمن أننى بلا أهل في هذه المدينة.. وأننى حتما سأحتاج «فلوس».. ثم مد يده في جيبه وأخرج ٣٠٠ جنيه ليعطيهم لي!!، أرجعت يده وسألت في مودة: إنت تعرف القائد؟.. ففاجأني: أبداً.. حتى الفرع الى هو فكرنى بيه أنا مش فاكراه.. أنا معرفش أي حد.. أنا قلت آجى أدلك الفلوس وأسلم عليك وأشوفك لو محتاج حاجة!!.

يومها حكى لى رشدي.. كيف أنه وفي أول يوم له في القاهرة نزل في لوكاندة في شارع رمسيس.. في انتظار أن يقابل قريباً له يعمل فراشاً في مكتب محمد عبدالوهاب.. وكيف أن القاهريين سرقوا «ماله القليل» الذي جاء به من كفر الشيخ.. وكيف مرت عليه أول ليلة وأم كلثوم تغنى من بعيد وهو يبكى وكأنه طفل تاه من والدته في مولد سيدى إبراهيم الدسوقي!!.

استمرت علاقتى برشدى عشر سنوات أو ربما يزيد.. لم يكن يشكو أبداً.. كانت الأضواء قد انصرفت عنه.. وداهمه المرض.. لكن وجود الأبنودى وبليغ في حياته كان يمثل له «الحياة الكاملة».. وعندما طلبه متعهد حفلات ليغنى في عوامة اسمها «صن ست».. وجدته يبكى لأن أحداً في هذا البلد مازال يريد أن يسمعه.. لم يسأل عن الأجر.. ولا مكانه في الأفيش.. وهو الذي أزعج عبدالحليم حافظ بجلالة قدره.. كنت أستغرب طبيته الشديدة.. وكيف لم يؤثر فيه جو «الآلاتية» وكأنه لم يتزحزح عن «ساحة الطوب الأخضر التي كان يساعد والده فيها».

يومها عرضت عليه فكرة إعادة توزيع أغنياته القديمة.. وكان المنتج محمد عبدالحليم قد طلب منى ذلك.. وكنت قد تعاونت معه في ألبومه «رمى رمشه» الذي غناه على الحجار.. طار رشدى من الفرع ورفع سعاة هاتف المنزل

ليطلب الأبنودي الذي طلب منه أن أذهب إليه.. وبعد مفاوضات مع الخال باظت المسألة.. لم يطلب رشدي شيئاً.. فقط كان يريد أن يغني لكن الأبنودي الشاطر طلب فتوقف المشروع ليلتقطه «عم محروس» والد نصر محروس ويقوم بطرح أول ألبوم بعيداً عن كلمات الأبنودي.. لتغني مصر كلها من جديد مع محمد رشدي «عرباوى.. مغرم صباية.. وتغريبة».. ثلاثة ألبومات متتالية أعادت الرجل الطيب الذي ظن أننا نسيناه إلى مقدمة المشهد الغنائي.. بل تحمست شركات الإنتاج لتفاوضه على أغنيات جديدة مع جيل جديد من الملحنين والشعراء.. وكان آخر ما غنى من هذه المجموعة «قطر الفراق»..

قطر الفراق هذا لم يطارد رشدي إلا في عامه الأخير.. بعد أن داهمته ذكريات بليغ حمدي الذي كان قد عاد من غربته الاضطرارية ليصنع معه ومع الأبنودي مجموعة أغنيات رائعة في مقدمتها «شباكك عالي».. وكان كلما تذكره يقول لي «تصور الصغير ده.. أبو جسم نحيل ده.. جه خدني الفجر.. شالني على كتافه ووداني المستشفى»!!، ثم يذكر كيف أنه في يوم من الأيام قاله تعالى نروح بيروت، ولأن رشدي لم يكن يعمل حساب لأي شيء ما خدش معاه فلوس.. هحتاج فلوس في إيه وبليغ معايا.. يقولها ثم يكمل - المهم يا عمنا قعدنا على قهوة.. وعمك بليغ قالى هسيبك نص ساعة أروح مشوار وأرجع لك.. ولقيتني قاعد.. ساعة.. اتنين.. ثلاثة.. لا معايا فلوس.. ولا أعرف حد في البلد الغربية دي.. ولا حتى ممكن أعرف أرجع.. فجأة لقيت كمال الطويل قدامي.. قالى إيه اللي جابك هنا.. قتلته ولقيته بيضحك.. «هوه عملها فيك».. المهم رجعتي كمال ومشفتش بليغ غير بعدها بشهور.. وهوه داخل الأوضة دي وبيعتذر لي ويضحك!!.

ما فعله بليغ في رشدي.. مرة واثنين.. وثلاثة.. لم يجعله يغضب منه أبداً.. بل ظل بالنسبة له وحتى آخر يوم في حياته «أحب الناس».. وما فعله بليغ بالرجل الطيب فعلته القاهرة.. مرة واثنين وثلاثة.. لكنه ظل وحتى آخر نفس مبتسماً وعطوفاً كأنه «جلابيه حنان تساع العالم».

obeikandi.com

«عيش وجمبري»

مع محمد منير

كنت لسه يادوب في أول سنة في الجامعة.. وإعلانات حفلته تملأ مدرجات وطرقات جامعة أسيوط، وعشرات من طلاب التيارات الإسلامية يمزقونها بغضب.. شعرت أنني أعرفه.. وأن حمايته من هؤلاء واجب شخصي.. وربما كان ذلك نفسه هو إحساس الآلاف الذين حضروا حفلة مع أنوشكا.. وبعد ساعتين من نهايتها اعتبرته صديقي.

بعد عشر سنوات من هذه الواقعة كنا قد انتقلنا بمجلة الإذاعة والتلفزيون إلى شارع جامعة الدول العربية.. خلف «فرغلي بتاع العصير».. وكان منير يقيم في أحد شوارع المنطقة.. بينى وبينه ثلاث دقائق.. وتعودت أن أنهى من عملي في الخامسة.. موعد إفطاره اليومي.. وتعود أن ينتظرنى.. أسمع منه وله.. في كل شيء.. عن السفر.. عن الوحدة.. عن فاروق أخيه الكبير اللى علّمه واللى كان المفروض يغنى، وحل منير محله في تجربة أحمد منيب وعبدالرحيم منصور.. لا شيء يساوى عند منير.. تشعر أن كل شيء لا طعم له.. هو فقط يجري.. من حفل في ألمانيا.. لآخر في هولندا.. لدرجة أنى سألته مرة.. «خرجت من المطار كام مرة».. فقال لى بهدوء: «اسأل جواز السفر!» منير حياته في «جواز السفر».. يعتبر وجوده في القاهرة نفسه «سفرا مؤقتا»، وأن عودته إلى مملكته في أسوان «أمر لا مفر منه».

انتقل منير من شقة شارع العراق ليذهب إلى جاردن سيتى في شقة أكبر هي أقرب إلى «الفيلات».. ويوم ذهابه إلى هناك كان متتشيًا.. يشعر أنه انتصر على

شيء مدفون بداخله.. قلبها تهريج «بص أنا ساكن قدامى مين.. كمال الشاذلي، عرفت بقى الملوك عايشين إزاي مش زيك هلفوت» وضحك.. يومها كان قد أصر أن يعزمننا على جبرى بالطباطم والشطة والليمون.. يحب منير هذه الأكلة ويصنعها بنفسه لأعضاء فرقته.. الدائمين منهم على الأقل.. شريف نور.. رومان بولكا!!

يأكل ما يحب.. ويرتدى ما يحب.. ويذهب إلى حيث يريد.. لكنه دائماً يفكر في الجنوب.. ربما لهذا السبب لا تغيب كلمات عبدالرحيم منصور عن ألبوماته على مدى ٣٥ سنة.. وإن لم يجدها وجد الأبنودى، وإن لم يجده أعاد توزيع أغنية قديمه من النوبة.. في كل مرة.. في كل حفل.. هو يريد أن يظل موصولاً بتلك القرى البعيدة التي غادرها مضطراً بحثاً عن «سر» ما زال يفش عنه حتى هذه اللحظة.

عام ٢٠٠١ تقريباً.. كان منير نجماً لحفل شهير أقيم تحت سفح الهرم.. وفوجئ بأحد معجبيه يصعد مخموراً إلى «الاستيدج».. وخرجت ألفاظ غير معتادة من منير للشاب الذي ظن أنه صعد ليقنتله.. وهجم الحرس على المسرح وألقوا القبض على الشاب وذهبوا به إلى مركز السموم.. وذهبوا بمنير إلى بيته.. بعدها بدقائق كنت هناك، كان معى زميلي أحمد فايق.. وبمجرد أن رآنى ارتمنى في حضنى وظل يبكى لدقائق طالت وجسده يهتز بالكامل.. وكلمة وحيدة تخرج من فمه «إخواتى يا عسيري»!

لم أفهم.. ساعات ومنير يتحدث ثم يقطع الحوار ليسأل عن أخواته البنات اللاتي رأين ما حدث على الهواء مباشرة.

وتمر سنوات أخرى.. وأجلس أسمعته في نفس المكان.. على نفس الكنبه وهو يتحدث عن شقيقه الذي يصارع الفيروس اللعين.. وعيناه مشدودتان إلى كلمة سر مجهولة.

منير لا يعبأ بالمال رغم أنه قد يغالى في أجره أحياناً.. يرفض التصوير

لمحطات كبرى بآلاف الدولارات ويقبل أن يسجل حلقة بالساعات في شقتي البسيطة في شارع السودان للقناة الثالثة!! هو منير.. يغيب بالشهور.. لا يرد على تليفوناتك.. ثم يفاجئك فجراً وكأنه كان معك بالأمس.. يتحدث في كل شيء.. الشباب الغاضب.. الأغاني الفاسدة.. الموسيقى المتوترة.. المطلقات والأرامل.. المتعة المفقودة.. الرؤية الغائبة.. وفي منتصف جملة تشعر أنه لا يريد أن يكملها يسألني «فضل فين.. ما قربناش نجوزه»!! لاحظ أن فضل ابني لم يكن قد أكمل الخامسة.. ثم يكمل بأنه سيراني قريباً.. ثم يغيب لنتلقى بعد شهور.. وهاجس العودة للجنوب يطارده.. ربما ذلك هو السر في أنه اقترض ١٥ مليون جنيه ليبنى مركزاً للموسيقى في أسوان - رغم أنه يعرف أن وقته لن يسمح له بأن يذهب إليه - ثم يفرح لأنه سيحوله لمشروع سياحي ثقافي موسيقى تلتقى عنده وفيه كل موسيقى الجنوب.. وأن شقيقه رجل السياحة سيدير ذلك!! ثم يختفى حديث منير عن المشروع تماماً!! ويفاجئني بأنه باع شقة جاردن سيتي.. وذهب إلى أكتوبر.. لم يهرب من مظاهرات وسط البلد.. ولا راح يبحث عن الهدوء.. منير شخص لا يحب الهدوء إطلاقاً.. لكنه ما زال يبحث عن «السر» في أسوان.. في جامعة الدول.. في إمبابة.. وسط بنات شقيقاته.. في ألمانيا.. في الخليج الذي فوجئ أن به جمهوراً عريضاً يحبه ويحب أغانيه.. هكذا هو دائماً على سفر.. وأظنه سيظل.

obeikandi.com

"فردة الحلق"

التي أنقذت مطربة منشية ناصر من الجوع!

وضع تامر حبيب سيناريو خاصا جدا تخوض به شيرين عبدالوهاب تجربتها الأولى في الدراما.. وكالعادة يتوقع المشاهدون أن تفاجئهم البطلة بقصة كفاح مهولة حتى تصعد إلى سلم الشهرة، وربما لا يفعل تامر حبيب ذلك على اعتبار أنها موضبة وبطلت، لكنى وبحسم أجزم أنه لو كان كتب قصة نجاح شيرين نفسها لكانت أفضل.

ولحصد نجاحا يفوق خياله.. فالقصة الحقيقية لهذه السمراء أكثر تشويقا بكثير، ودليل حى على أن أحياءنا الشعبية مليئة بالمواهب الضخمة.

تذكرت وأنا أتابع تترات المسلسل ما أعرفه عن شيرين.. ما رأيته بعينى وسمعته بأذنى.. حكاية منه — أو حكايتان بالأكثر — كافية لأن تمنحها بطاقة التأهل لموقع الصدارة.

كنا في بداية التسعينيات.. رمضان كالعادة فرصة للمبدعين.. على الشاشة.. وفى سرادقات قصور الثقافة وحديقة الحوض المرصود واحد من هذه السرقات يذهب إليها أبناء السيدة.. والدرب الأحمر والحلمية للتنفس ساعات قليلة بعد الإفطار.. مع الموسيقى والساحر.. والمنشدين...

وفى ليلة رمضان من هذه الليالى.. كانت هناك بنت صغيرة بيتها قريب جدا من الحديقة، والحوض المرصود بالمناسبة اسم لأهم مستشفى يعالج

الأمراض الجلدية في مصر، وما زال رغم سوء حالته.. والدها ساءت ظروفه الاقتصادية.. وترك للأم المكافحة ثلاثة أطفال.. كان صاحب ورشة يقيم في أحد شوارع منشية ناصر.. البنت التي لم تبلغ العاشرة صوتها حلو جدا.. أحد أقاربها أخذها إلى هناك.. للحوض المرصود لتغنى.. وقفت مرعوبة.. كل شيء هنا يخطفها من عالمها الصغير.. تخيلت نفسها نجمة.. وبدأت تغنى.. وللصدفة وجدت نفسها -ع النوتة الصحيحة- لم تخطئ.. وصفق الجمهور للطفلة التي لفتت أنظار موسيقى شاب حصل على اسمها وعنوانها.. ليأخذها إلى الأوبرا حيث سليم سحاب.

كانت في قمة سعادتها. طفلة.. يصفق لها الكبار، لكنها لا تعرف ماذا تعنى الفلوس.. ولا معنى أن الأم قد لا تجد ما تطبخه لهم.. وجدت أمها تبكى.. ودموعها الغزيرة تبلل خديها.. قالت في ضعف الفلوس خلصت.. هنعيش إزاي بس يا رب.. وردت الطفلة في براءة.. أكيد ربنا هيرزقنا.. ثم خرجت تلعب في الشارع مع صديقاتها من بنات الحطة.. كن يلعبن الحجلة.. غطيان صغيرة لعب الورنيش.. يدفعنها بطريقة منتظمة وقدم مرفوعة، فيما تضرب القدم الأخرى ذلك «الحلق».

كانت شيرين التي تحكى لى الواقعة، وهى على باب النجومية في مدخل الأوبرا، وأنا أنهتها بمناسبة حصولها على عشرة آلاف جنيه دفعة واحدة من منتجها نصر محروس، بعد نجاح ألبومها الأول المشترك مع تامر حسنى.. كنت قد سألتها عما فعلت بالفلوس، فقالت في براءة.. اشترت بيها كلها هدوم ليا ولأمى، ودفعت ثمن الدروس الخصوصية لأختى إيمان.. ثم أضافت: «ياض ربك ده كريم أوى».. ثم أكملت قصة لعبة الحجلة: يومها فضلت ألعب وناسية خالص حكاية أن بيتنا مافيهوش فلوس.. أنا قلت الكلمتين لأمى ومشيت.. وأنا بلعب رجل خبطت في حاجة حادة في التراب.. بميل أشوف إيه الى عورنى.. لقيته حلق.. ماكنتش أعرف إنه ذهب.. أنا خدته وجريت ع البيت.. قلت لأمى شوفى ده.. قالتلى دى فردة حلق ذهب.. منين جبتها..

إوعى تكونى خديتها من حد.. قلت لها براءة أنا لقيتها في الأرض وأنا بلعب، والله ما شفت حد رماها، أمى ضحكت وخذتنى في حضنها، وبكت وهى تقول صحيح.. ربنا الى بيرزق.. بتسم شيرين، وتضيف: «أنا عمري ما نسيت حكاية الحلق دى.. ودايا عندى إحساس إن ربنا هيرزقنى» وانطلقت لتكمل طريقها.. الذي لم يكن سهلاً على الإطلاق.

من أول لحظة كانت تعرف أنها موهوبة.. وأنها مميزة، كان كل من يستمع إليها يدرك ذلك، ومن اللحظة التقطها سليم سحاب ودخلها في مقدمة فرقته مع زميل لها اسمه أحمد فتحى.. أحمد هذا بشر به عبد الوهاب لكنه اختفى ولم يعد له ذكر، لكنه كان سبباً في أن تحصل شيرين على أول فرصة ظهور في كليب، وأن تحصل لأول مرة على خمسين جنيهًا كاملة.

كانت فكرة الكليبات قد ظهرت في ماسيرو على يد فتحى عبدالستار.. وجاء بعده آخرون، حتى ظهر مهرجان الإذاعة والتليفزيون، وتقدم المطربون والشركات بما ينتجون.. كان العام ١٩٩٣ وحصل طارق فؤاد بأغنيته التي كتبها زميلنا الشاعر فوزى إبراهيم على جائزة المهرجان، الأمر الذي أغرى طارق فؤاد أن يكرر التجربة فقرر أن ينتج أغنية جديدة يشارك بها.. كانت فكرة الأغنية التي كتبها الشاعر عماد صبحى تستلزم وجود طفلين يجيدان الغناء، وذهب طارق للأوبرا وهناك عثر على أحمد فتحى، وظلت البطله غائبة، أجرى طارق مسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء عمرها لا يزيد على ١٢ سنة. ولم يجد أحداً واقرب المهرجان والرجل يبحث، وفجأة أخبره أحمد أن معهم في الفرقة طفلة هائلة اسمها شيرين أحمد عبد الوهاب وجاء بها ليعرف طارق من اللحظة الأولى أنه أمام موهبة خاصة.

في ١٥ شارع علوبة.. استديو ربايعات الذي يملكه الفنان محمود ياسين - صار مخزناً للخردة الآن ولا تزال أجهزته في الكراتين بعدما تطورت الصناعة وأصبحت الاستديوهات ديجتال، في ذلك المكان وقفت شيرين لأول مرة أمام

ميكروفون عشان تاخد «تيممة صوت» دخل أحدهم ليضع لها الهيدفون.. فيما كان الملحن والموزع إبراهيم راديو يحزم حقائبه ويضع آلاته جانباً استعداداً للمغادرة إلى ستوديو آخر، لكنه توقف فجأة بمجرد أنه سمع هذه الطفلة الصغيرة تغنى.. وقف الموزع الشهير مبهوراً وهو يردد «هو فيه كده»، وكان رد فعل عمنا إبراهيم هو نفس رد فعل معظم من استمع إليها في التصوير، وقف المخرج أشرف موسى حائراً، فالطفلة التي تغنى:

«كان نفسنا يبقى البشر كل البشر من سننا ولا يعرفوش غير اللعب ولا يحملوش غير حلمنا».

هذه الطفلة التي سمعها في الاستديو تغنى بطلاقة ها هي أمامه الآن غاضبة تبكى وطارق فؤاد يحايلها.. النجمة الطفلة غاضبة لأن مشاهداها في سيناريو الكليب أقل من مشاهد أحمد فتحى، وعبثاً يحاول طارق فؤاد إقناعها أن سيناريو الأغنية يقوم على الطفل الغائب الذي يبحثون عنه وبعد محايلات رضخت وصورته وحصلت على ٥٠ جنيهًا كاملة، أكبر أجر تحصل عليه وقتها، لكنها ظلت مغبونة لسنوات، لأن طارق والمخرج منحا زميلها أحمد فتحى فرصة أكبر منها.

بعد هذه الواقعة بسنوات كنت قد تعرفت على شيرين في منزل الموسيقار الشاب ممدوح صلاح الذي كان قد التقطها من شركة موسيقى مجهولة اسمها ١٠ نجوم في ميدان الجامع بمصر الجديدة، كان ملحنًا في بداية طريقه صنع ألحانًا لمحمد الحلو وحسن عبد المجيد ومدحت صالح وهى طفلة «بتحبي»، وتتشعلق في ريع فرصة وأخذها ممدوح لكل مكان يذهب إليه استديوهات.. حفلات.. سهرات، وفي إحدى هذه السهرات في منزل الراحل كمال درويش في أغاخان كان رجلًا محبًا للفن يذهب إليه الجميع سامى الحفناوى، فاروق الشرنوبى، وشقيقه صلاح وكان كلاهما نجمين في تلك الفترة، وكان الصغار يأتون ويغنون، وفي هذه السهرات غنت شيرين لأول مرة مع تامر حسنى دون

أن تعرف أنه سيكون غريمها وشريك رحلة نجاحها يوماً ما.

المهم أننى واحتفالاً بحصولى على كارنيه نقابة الصحفيين قرر مطرب صاعد وقتها يملك قرية سياحية في الواحات البحرية إقامة احتفال لثلاثة أيام وترك لى دعوة من أريد، وحدث ودعوت كثيرين، كان من بينهم ممدوح وشيرين والكاتب عمر طاهر والمطربة لينا الطويل، كان قد انتشر لها ألبوم «أسمر يا سمرانى» الذي قدمها فيه عمنا كمال الطويل، ولاحظت مثلما لاحظ الكل غيرة شيرين من لينا، كانت لا تترك فرصة لتغنى للجميع قدامى ومحدثين، وأدركنا أن هذه الصغيرة التي تعرف أنها موهوبة لا تحب سوى أن تكون الأولى، وإن غيرها هذه ستكون سبب سعدا وشقاؤها في آن واحد.

وفى أعاخان جاءت الفرصة الأولى التي سمعها مدحت صالح وطلب من صلاح الشرنوبى تبنيها، وذهب صلاح بها إلى نصر محروس - أهم منتج كاسيت في مصر وقتها- لكن نصر لم تعجبه ملاحظها العادية كان يفكر بعقل المنتج لكن شيئاً ما حدث غير كل شيء.

وقبل أن نعرف ما حدث.. نشير إلى أن نصر لم يكن هو المنتج الأول في طريق شيرين، ذهبت للجميع تبحث عن فرصتها، وهى في طريقها اتكعبلت في مطرب مصرى كان يرتدى الزى الخليجى في ملاهى شارع الهرم، ويغنى أغنيات الخليج اسمه حمدى أحمد كان البطل يملك شركة لإنتاج الأغنيات سمعها وكالعادة أعجبه صوتها وقرر تبنيها، ووقعت معه عقداً.. وقع والدها تحديداً فقد كانت لا تزال قاصراً، وقام الرجل على حد زعمه في دعوى قضائية أقامها ضدها بتدريبها ورعايتها، واختار لها مجموعة من الأغنيات لكنها لم تغن منها حرفاً واحداً، وظل عقد حمدى أحمد عبد المجيد سجيناً يحاصرها عشر سنوات كاملة لأنها وحسب العقد لم تؤد التزاماتها فيما حصلت على حقوقها كاملة، لكن نجاحها المباغت والمفاجئ مع نصر محروس أنقذها وغير كل شيء،

المحاولة الأولى للانتحار في حياة "آه يا ليل" 3

فى شتاء عام ١٩٩٦ كنت قد تعرفت على السيناريست مصطفى إبراهيم والمخرج أحمد خضر الذى اختارنى لكتابة أغنيات مسلسله «لا شيء يهم» الذى قامت ببطولته جيهان نصر.. وأبلغنى خضر أن الموسيقىار الكبير ميشيل المصرى يريدنى أن أذهب إليه لأقرأ له الكلمات بصوتى.. كانت ومازالت هذه عادة الملحن القديس أطال الله عمره.. وذهبت إليه فى الفيلا التى يملكها بـ ٦ أكتوبر.

وصارت بيننا صداقة.. أستاذ كبير وشاعر مبتدئ وبينهما محبة خالصة للصعيد والموسيقى.. وبينما كنت معه حكيت له عن شيرين تلك الطفلة الموهوبة التى تريد أن تحصل على فرصة فى ماسيرو وقد كان عضوا مهما فى لجان الموسيقى والاعتماد ومؤسسا للفرقة الموسيقية الخاصة بالتليفزيون.. وقبل الرجل أن يسمعها.

لم أكن أملك سيارة.. وكان من الصعب وغير المناسب حاليا أن استأجر تاكسى للذهاب إلى تلك المنطقة النائية وكذلك شيرين أيضا.. كنا فى عز طوبة تقريبا.. وشيرين ترتدى ملابس بسيطة وخفيفة وكان بصحبتنا زميلى خالد حنفى الذى بادر ومنحها الجاكيت الوحيد الذى يملكه تقريبا.. لم ترده إليه حتى الآن. واستقبلنا عم ميشيل بمودة.. وطرب لصوتها.. وطريققتها الفريدة فى الغناء.. لكنه فاجأنا بأن طلب أن تجلس شيرين فى منزلها لعامين على الأقل حتى لا يضيع صوتها.. وحذرها من الغناء فى هذه الفترة التى تشهد التغيرات الأهم فى أجساد وحناجر النساء.

فى الطريق من أكتوبر إلى محطة رمسيس حيث سنستقل ميكروباصا آخر لبيتها.. أخبرتنى شيرين أنها لا تستطيع أن تستمع لنصيحة عم ميشيل.

كانت قد عرفت الطريق إلى الأفراح.. والغناء فيها.. تعرفت على فرقها الكثيرة ومن أصحابها تعلمت كل الفنون وعادات الآلاتية.. وتعرفت كذلك على أول بختها.

كان مدحت خميس مجرد عازف للأورج.. لم يكن قد أصبح موزعا مشهورا.. أو دكتورا في معهد الموسيقى.. فقد حدث ذلك في وقت متأخر.. أحبته شيرين.. ووجدت فيه فرصتها.. وأحبها الرجل وفي منزلها البسيط وفي حضور أخوتها وعدد قليل من المعازيم جاء الشيخ ليعقد قرائها لأول مرة.. لم يكن أحد المعازيم من المشاهير.. لكن بعضهم أصبح كذلك فيما بعد.. طبخت شيرين بنفسها «كفتة» وغنت.. وغنى أصحابها.. فرحت كما لم تفرح من قبل.. لكن فرحها لم يدم طويلا.. واشتعلت الخلافات المكتومة أولا.. ثم خرج الخلاف للعلن.. وتخلصت شيرين من الحمل لتحصل على الطلاق للمرة الأولى في حياتها أيضا.. وعلى مساحة من الندم ظلت تطاردها لفترة طويلة.

تخلصت شيرين من زواجها الأول.. وجنينها الأول.. لكن عقدا وقعته في تلك الفترة وذكرت فيه أنها غير متزوجة ظل يطاردها لفترة.. واستغل صاحب العقد الأمر وهددها بالحبس بتهمة التزوير في محررات رسمية.. الأمر الذي نغص عليها حياتها كاملة.. لكن أولاد الحلال تدخلوا وأنقذوها من الحبس. كان نصر يملك عقودا لمطربين مهمين وناجحين وقتها ومن بينهم أنغام... وعندما جاء محمد محيي لينضم للشركة ويقدم ألبومه الناجح «صورة ودمعة» كانت هناك أغنية «دويتو» وكان من المقرر أن تشاركه غناءها «مى كساب» لكنها وفي آخر لحظة اعتذرت وسافرت لإحياء إحدى الحفلات في دبي.. ووضعت الجميع في ورطة أخرجهم منها الشاعر مصطفى مرسى الذى ذكر محروس بتلك المطربة التى قدمها له الشرنوبى.. وعلى مضض قبل نصر أن تغنى شيرين.. فاتصل بزواجها في ذلك الوقت مدحت خميس وجاءت لتنفيذ الأمر.

لم يكن أحدهم يتخيل أن الأغنية ستنتج بهذا الشكل وأن شيرين ستصبح صوتا معروفا من خلالها.. فقام نصر بإنتاج أربع أغنيات لا ليضعها إلى جانب ٤ أغنيات أخرى لتامر حسنى وكانت المفاجأة أن هزمت «آه يا ليل» التى لحنها شاب غير معروف اسمه أحمد محيي الجميع كل من كانوا في سوق الكاسيت.. مما اضطره لتوقيع عقد على عجل مع شيرين تضمن شروطا مجحفة كثيرة لكنه

لم يشترط عليها عدم التمثيل أو الغناء في أفلام. لكن شيرين جاءت فرصة فيلم ميدو مشاكل.. ونجحت أغنيات الفيلم.. فقرر أن تصدر في ألبوم.. وهنا أسقط في يد نصر الذي اتصل بشيرين قبل أن تصعد الطائرة في طريقها إلى الخليج لإحياء إحدى الحفلات.. ووقع معها ملحقا للعقد.. قالت لى شيرين فيما بعد إنها لم تقرأ ما فيه.. لتكتشف بعد قليل أنه يتضمن ٧٥٪ من عائد حفلات وثمانية ألبومات غنائية.. وشرطا جزائيا بمليون جنيه ونصف إن خالفت أحد البنود.. وهو ما طالبها به نصر بعد ذلك ليضعها في ورطة لم تجد لها حلا سوى محاولة الانتحار.. ليذهب بها أصدقاؤها إلى مستشفى مصر الجديدة لتظل هناك لفترة قبل أن يتدخل أولاد الحلال لإنقاذها مجدداً.

من عرف شيرين في أيامها الأولى يدرك تماماً أنها عفوية جداً.. تتصرف بتلقائية شديدة.. لا أسرار لديها.. لا تجمل من شيء ولا يهتمها أن يغضب الآخرون.. فيها بعد وبعد أن أصبحت نجمة.. غير كل شيء.. أصبحت كل كلمة محسوبة.. وكل خطوة.. وكل نبضة قلب أيضاً.

زى كل البنات.. أحبت لأول مرة زميلها في الفصل.. لم يكن حبا بالقطع.. لكنها اعتبرته كذلك.. «كان اسمه حسنى.. عيونه غريبة.. عجبتنى عنه».. وبالقطع لم يعرف حسنى أن الطفلة التي ستصبح نجمة في عالم الغناء ستتذكره.. لكنها لا تنسى أيام طفولتها.. ربما لأنها كانت تريد أن تعيشها بشكل مختلف.. لكن ظروفها لم تسمح لها بذلك.. كانت تجرى بخطوات سريعة جدا نحو «الغناء» عشقها الأول.

وفي فرقة سليم سحاب لم تحب أياً من زملائها الرجال.. بل كانت تغار منهم.. كانت تريد أن تصبح «الصوليست» حتى على الرجال.. لكن هذه الغيرة المحببة لم تمنعها من أن تحب - للمرة الثانية - وعلى طريقتها الخاصة شاباً من سنها اسمه إبراهيم.. وبالطريقة الكلاسيكية بتاعة السينما أحبت شيرين على أغنيات أم كلثوم.. كانت تسمع أغنيات عبد الوهاب التي حفظتها جميعاً من والدها -

عم سيد - فقد كان يملك صوتا جميلا وعشقا خاصا لعبدالوهاب نقله دون أن يدرى لابنته، حتى طغى على جميع المطربين.. لكن الموهوبة اكتشفت عن طريق حبها لإبراهيم كنزاً آخر اسمه أغنيات أم كلثوم.. ومثلما بدأت قصة إبراهيم انتهت.. وظلت مجرد خاطر يداعبها وتضحك منه وعليه.. لكن الحب الذي ذهب بها للمأذون كان لزميلها مدحت خميس.. الموسيقى والموزع المشهور فيما بعد.. كانت قد أصبحت معروفة على الأقل في أوساط الموسيقيين.. وفي ليالى الأفراح والحفلات الخاصة.. تحلم ببيت سعيد.. وبأطفال أيضا.. لكنها كانت تخاف من المسؤولية.. وكان الطرف الآخر متيها بها.

شيرين بنت بلد.. دمها خفيف.. وبنت نكتة.. وطباخة ماهرة أيضا.. وتتعامل مع شقيقتها الصغرى إيمان وكأنها أمها «الست كريمة».. لكنها لا تريد لنفسها أن تتعرض لما تعرضت له أمها «تعب القلوب والبيوت».. كانت لا تزال شابة تريد كل شيء دفعة واحدة.. النجومية والشهرة والفلس.. وربما - مثلما سمعت من أهل الفن - سحبتها «حياة الأسرة» بعيدا.. لكن الرجل يريد أن يعرف - رأسه من رجله - وهى تماطل بلا حجة مقنعة.. وفي النهاية رضخت أو حسب تعبيرها «قلت أخلص من الزن» وتزوجت شيرين.. ولم تدم سعادتها طويلاً.. سنة ليس أكثر.. تركت لها الكثير من المرات.. لكنها منحتها خبرة وقوة وعناداً فوق عنادها الطبيعي.. ومنحت صوتها زخماً وجرحاً بدا واضحاً في أغانيها الأولى حتى منحها البعض لقب «المدافعة عن المرأة».

هذه الأغاني الأولى التي كتبها هانى عبدالكريم ولحنها أحمد محيى.. صارت لقباً لها يناديها الناس به «شيرين آه يا ليل» وجاءت لها بالنجومية وبالسينما التي دخلتها مرتجفة ومرعوبة.. وخرجت منها بتجربة جديدة وأصدقاء جدد في مقدمتهم أحمد السقا وأحمد حلمى ومحمد هنىدى.. والأخير كان يصور فيلماً اسمه «همام في أمستردام» ظهر فيه شاب وسيم في دور صديق أحمد السقا.. كان يعمل منظماً للحفلات.. حاصل على الجنسية الأمريكية وتعرفت عليه شيرين.. ليتحدث الوسط الفنى عن «حب جديد» لم تحجل شيرين من التصريح به..

وظهرت في حلقة تليفزيونية مع هالة سرحان، لتؤكد تفاصيل الخطوبة التي جاءت سريعاً.. والغريب وقتها أن حفل الخطوبة لم يحضره أحد من أهل شيرين - في إشارة واضحة لرفضهم الزيجة - واكتفت شيرين الصغيرة بوجود منتجها نصر محروس.

في تلك الأثناء لم يستغرب أحباء وأصدقاء شيرين أن تحب مجدداً.. وأن تسعى للزواج.. فهذا أمر بديهي وطبعي جداً، لكن إعلانها أن الزواج سيتم بعد ٣ سنوات كان أمراً مدهشاً.. وظهر الخطيب في كل حفلات شيرين تقريباً لمدة عام.. وفجأة وفي أولى حفلاتها الصيفية بمارينا ظهرت بمفردها.. واختفى الأمريكي الغامض الذي لم ينظم حفلاً واحداً في القاهرة لتعلن شيرين بنفسها خبر انفصالها.

من الطبيعي أن يحب البشر.. العاديون منهم والنجوم.. لكن الفنانين يحتاجون للحب والعطف أكثر مما يحتاجه الآخرون.. تقلباتهم.. وانهمالاتهم.. أحزانهم.. وأفراحهم القليلة تحتاج دوماً إلى شريك محب.. وقد يكون ذلك الرجل أو تلك المرأة موجوداً بجوارنا، لكننا لا نشعر به.. يؤدي دوره الكامل دون أن يشعروا بأنه يمن علينا بذلك. وهذا ما كنا نشعر به جميعاً في المرات التي نشاهد فيها شيرين ومحمد مصطفى معاً.

كان مصطفى واحداً من أهم موزعي جيل التسعينيات.. شاب «جنتل» ابن ناس.. دمث جداً.. وموهوب حتى النخاع.. يلحن أحياناً.. لكنه دوماً صديق لمن لا صديق له.

وكان من الطبيعي أن نشعر بمودته لـ «شيرين».. وأن تدرك هي ذلك.. كنا في استديو هاني مهني «جولدن كاسيت» في شارع السودان.. ومصطفى ينجز لحناً لطرب شاب اسمه أسامة الشريف.. وجاءت شيرين.. فالجميع أصدقائهما.. وبدا أننا على وشك سماع نبأ سعيد لكنها أنكرت.. ولم تمض أيام حتى فوجئت بعد منتصف الليل بمن يخبرني أن شيرين ستزوج الليلة.

طلبتها على الموبايل دون جدوى.. فطلبت منزلها ورد والدها الذي أخبرني بسعادة أن مصطفى طلبها للزواج من فترة.. لكنها لم تحدد موعدا.. وأن التفاصيل لديه ولديها.. فطلبت محمد مصطفى الذي فاجأني بأنه في الطريق لبيت شيرين في المعادي - كانت شقة بالإيجار انتقلت إليها مع أسرتهما عقب نجاح ألبومها الأول، وأن شيرين ستغادر بعد كتب الكتاب مباشرة إلى تونس لارتباطها بحفل هناك.. وأنها أخيرا وفيما كان يحدثها في التليفون قالت له «هات المأذون وتعالى».

وكتبت شيرين كتابها قبل أذان الفجر.. لتنتقل بعدها إلى تونس.. ومن هناك تخبرني أنها مع صديقة لها.. وأنها ستعلن زفافها بعد عودتها مباشرة.. ليستمر زواجها بمحمد مصطفى ٥ سنوات كاملة.

obeikandi.com

ما يشبه السيرة

محمد العسيري

25 ديسمبر 1967

رئيس تحرير جريدة الدستور

حاصل على جائزة نقابة الصحفيين المصريين عام 2002

حاصل على جائزة دبي للصحافة العربية عام 2003

حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب عام 2014

عضو جمعية المؤلفين والملحنين بباريس

صدر له :

للبيوت شهوة.. ديوان شعر..هيئة قصور الثقافة 1996

عتبة قديمة تشبهلي..ديوان شعر .. دار النسيم 2014

أغنية يناير ثوار ومزيفون.. دراسة دار جزيرة الورد 2011

ثنائية العزف والقتل في أغنية الربيع العربي..دراسة.. مؤسسة

الفكر العربي بيروت 2015

الأغاني الممنوعة للأبنودي .. دراسة ..دار كتابي 2015

obeikandi.com

الفهرس

٧	نهاوند.. فيها يشبه التقاسيم
٩	علي الحجار.. ورد المحبة في السنين البور
١٥	«أنغام».. تراب صوتها زعفران
٢١	وردة الجزائرية.. سكة سفر
٢٧	محسن جابر.. صانع النجوم والذكريات
٣٣	«الأبنودي».. يونس في بلاد الشوق
٣٧	محمد رحيم.. قصة اللبناني صياد الماس
٤٣	صبري فواز.. سر النجاح المتأخر لـ«ملح البراري»
٤٩	أمير عبد المجيد.. شيخ العرب القانوني
٥٣	ذكرى محمد.. أنثى الأحلام المستحيلة
٥٩	إبراهيم رجب.. جهل السيدة زينب
٦٥	إبراهيم عبدالفتاح.. ولا عمره ليلة بات فيها
٧١	مدحت صالح.. الحاوي سليل الرفاعي!
٧٥	مجدي نجيب.. وش القمر
٨٣	محمد محيي.. المظلوم
٨٧	مجدي العمروسي.. الصندوق الأبيض

- ٩١ هدى عمار.. سبعة الترانيم
- ٩٥ ياسر عبدالرحمن.. الإمبراطور
- ٩٩ عمر طاهر.. عرفوه بالحب
- ١٠٥ سيد حجاب.. أبونا الحلواني اسمه على بوابتها غزل
- ١٠٩ رياض المهنشري.. بفرد ضلوعي لحد جرحك يا صديق
- ١١٣ أحمد إسماعيل .. مصر اللي جابية الشجر من زمان
- ١١٧ خضرة محمد خضر.. سنّ العشق والعشاق
- ١٢١ محمد الحلو.. أحسن واحد يتنصب عليه في العالم
- ١٢٥ وجدي الحكيم.. حارس الخزانة
- ١٢٩ محمد ناصر.. هستيريا العنف
- ١٣٣ ميشيل المصري.. قديس الليالي
- ١٣٧ جلابية الحنان.. محمد رشدي
- ١٤١ «عيش وجمبري» مع محمد منير
- ١٤٥ "فردة الحلق" التي أنقذت مطربة منشية ناصر من الجوع!

